مذكرة على كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله

جمع وترتيب

أبي عمير صهيب بن محمّد بن العيد السوفي الجزائري

دار الحديث السلفية بصلاح الدين



في ملك الراجي رحمة ربه أبي عمير صهيب بن محمد السوفي الجزائري.

فتح الولي الحميد

الفرق بين الحمد والثناء = الحمد هو إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه والثناء تكرار المحامد وتعديدها والزيادة في عددها.

بالتعليق على

كتاب التوحيد

العلم واليقين والقبول ⊛ الانقياد خادر ما أقول والصدق الاخلاص والمحبه ⊛ وفقك الله لما أحبه

العلم = الجهل
اليقين = الشك
القبول = الرد
الانقياد = الاعراض ← والاستكبار والترك
الصدق = الكذب

الاخلاص = الشرك
المحبه = البغض
الاسلام = الكفر

الكرم هو بذل المال والشجاعه بذل النفس

الفرق بين الضاله واللقطه الضاله لا تقع إلا على الحيوان وما سواه يقال له لقطة

فائدة = كتاب التوحيد الاحاديث التي فيه إما صحيحه لذاتها أو لغيرها أو معناها صحيح دلت عليه الأدله أي له شواهد من الكتاب والسنه وليس في الكتاب حديث منكر أو موضوع أو باطل.

الفرق بين التمثيل والتكييف التمثيل ذكر كيفية الصفه مقيده بمماثل والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل

لأبي مالك عبد الله بن محمد بن فارع الجبجبي الوصابي

الإضافة لله نوعان =
① إضافة أعيان = ذوات مستقله بنفسها عما سواها.
② إضافة صفات = هي المعاني القائمه بالذوات والمراد بها هنا ما نسب إلى الله على أنه وصف قائم بذاته والصفات غير مخلوقه كقوله تعالى (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي)

فائدة = علمه الله يشفيك بفتح الياء التحتانيه معناه يذهب الله عنك المرض والغم الدعاء بالهلاك

فائدة = يقول الشيخ أحمد النجمي الشرك يطرق في توحيد العباده فقط أما توحيد الربوبيه والأسماء والصفات لا يوجد فيها شرك أصغر كل ما شرك أكبر

فائدة الفرق بين البشاره والتهنئه أن البشاره إعلام له بما يسره والتهنئه دعاء له بالخير فيه بعد أن علم به تحفة المودود لابن القيم

الفرق بين التقوى والورع = أن التقوى أخذ عدة والورع دفع شبهة.

الفرق بين الحق والرقب = الحق ...

مكتبة الفلاح

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٤٧٤٨

الترقيم الدولي I.S.B.N. 978-977-6241-39-8

الناشر
مكتبة الفلاح
اليمن - صعدة - دماج
سيار ٧٧٧٢٨٥٥٠٨

مكتبة الفلاح

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إنّ التشبه بالكرام فلاحُ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]، أما بعد:

فهذا تعليق وتحقيق مختصر على كتاب التوحيد للإمام محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله، استفدته ممن سبقني إلى الاعتناء بهذا الكتاب، والذي حفزني على جعله بهذا الشكل المختصر أنه كتاب متداول بين طلبة العلم وغيرهم، وكثير منهم يحفظه.

وفيه بعض الأحاديث الضعيفة؛ فأردت أن أعين إخواني على الوصول إلى هذه العلة بكل سهولة، فضمنتها المتن وابتدأتها بقولي: «قلت»، وكذلك تضمنت بعض الأحاديث بعض الكلمات التي تحتاج إلى تفسير لمعناها فجعلت التعليق الذي يوضحها في الحاشية.

وبحمد الله فقد جعلت توضيحًا مختصرًا لأغلب تراجم الأبواب يبين المراد منها، وبهذه الطريقة أرجو أني قد سهلت على إخواني – حفظهم الله – حفظه وفهم معانيه، وهذا بلا شك عمل يسير وما هو إلا عالة على أعمال من سبقني في خدمة هذا الكتاب المبارك، ولكن أرجو أن أكون من الذين شاركوا في هذه الخدمة، وأرجو من الله أن يكون هذا العمل من الأعمال التي تكبِّرها النية، قال ابن المبارك رحمه الله: رُبَّ عمل صغير تكبِّره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغره النية، فإن كنت أصبت فهذا من توفيق الله وتسديده لي، وأسأله سبحانه أن يزيدني من فضله وتوفيقه وتسديده، وإن كنت أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وقد اعتمدت في التعليق على نسخة ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب التي قام بتصحيحها ومقابلتها على عدة نسخ خطية الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد والدكتور أحمد كحيل والدكتور لبيب السعيد.

وفي الأخير: أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه وأن ينفع به كما نفع بأصله، وأن لا يجعل لأحد معه فيه نصيبًا، وأن يغفر لي ولوالدي ولمشايخي وإخواني أهل السنة ولجميع المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه: أبو مالك عبدالله بن محمد بن فارع الجبجبي الوصابي

كلمة شكر

أشكر ربي الذي وفقني لطلب العلم، وهيّأ لي سبله، فهو علمني ما لم أكن أعلم، وكان فضل الله عليّ عظيمًا، وأسأله سبحانه أن يثبتني على هذا الخير حتى ألقاه.

ثم أشكر لوالديَّ اللذين كانا السبب بعد الله في وجودي في هذه الحياة، وأسأل الله أن يرفع درجتهما في الجنة.

وأشكر لخالي قاسم الذي علمني القراءة والكتابة، ونسأل الله أن يوفقه للعمل بالكتاب والسنة.

وأشكر لشيخنا مقبل رحمه الله على ما قام به من العلم والتعليم والتصفية والتربية في سبيل هذه الدعوة السلفية المباركة.

وأشكر لخليفته، شيخنا ومربينا أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى على ما يقوم به من العلم والتعليم، والنفاح عن هذه الدعوة السلفية المباركة.

وأشكر لأخي في الله أبي عبدالرحمن فتح بن عبدالحافظ القدسي على ما تكرم به من مراجعة هذه التعليقات على هذا الكتاب المبارك، وأعطاني من توجيهاته وفوائده التي تشد لها الرحال، فجزاه الله خيرًا على ذلك.

وأشكر لمكتبة الفلاح على ما تقوم به من طباعة وخدمة كتب أهل السنة والجماعة، فنسأل الله أن يثبتها على المنهج السلفي، وأشكر كل من أعانني على إخراج هذا الكتاب. والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد(1)

وقول(2) الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا(3) فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ(4)﴾ [النحل: من الآية ٣٦].

---

(1) لم يأت المصنف بخطبة للكتاب تنبئ عن قصده؛ لأنه اكتفى والله أعلم بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده؛ فإنه صدره بقوله: «كتاب التوحيد» وبالآيات التي ذكرها وما يتبعها مما يدل على مقصوده، فكأنه قال: قصدت جميع أنواع توحيد الألوهية التي وقع أكثر الناس في الإشراك فيها وهم لا يشعرون وبيان شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك فاكتفى بالتلويح عن التصريح والألف واللام في «التوحيد» للعهد الذهني.

والتوحيد: هو الغاية التي خلق الله العباد من أجله.

وهو في اللغة: مصدر وحّد الشيء إذا جعله واحدًا، وفي الشرع: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات: وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية: وهو إفراد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير.

٢- توحيد الألوهية: وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة.

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات.

والعبادة كما قال شيخ الإسلام: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

(2) يجوز في «وقول الله»: الرفع والجر، فالرفع على الابتداء والجر على العطف على التوحيد، وهكذا حكم ما يمر بك من هذا الباب.

(3) فأخبر الله تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة.

(4) ﴿الطاغوت﴾: اشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحدّ.

قال ابن القيم رحمه الله: «الطاغوت»: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس عليه لعنة الله، ومن عبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

وقوله: ﴿وَقَضَى(1) رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا(2) اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: من الآية ٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ(3) تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

---

(1) ﴿وقضى﴾: أمر ووصى، ﴿فلا تقل لهما أف﴾: أي لا يصدر منك إليهما فعل قبيح.

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾: أي ليناً طيباً بأدب وتوقير.

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾: أي تواضع لهما، ﴿وقل رب ارحمهما﴾: أي في كبرهما وعند وفاتهما.

(2) وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة.

(3) أي قل يا محمد تعالوا أيها الناس أخبركم وأقص عليكم ما حرم الله عليكم، وأتل على علم ويقين، لا عن شك وظن، وأول هذه المحرمات الشرك.

واشتملت هذه الآيات على عشرة أمور استنبطها أنت أيها القارئ الكريم وفقك الله.

قوله: ﴿وبعهد الله أوفوا﴾: ما أوصى من عبادته، وعدم معصيته.

وقوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً..﴾: وهو فعل الأوامر واجتناب النواهي.

قوله: ﴿ولا تتبعوا السبل﴾: هي الطرق الملتوية الخارجة عنه بسبب شبهة أو شهوة، كالطرق المبتدعة في الدين.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ(١) التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قلت: حسن رواه الترمذي برقم (٣٠٧٠) وغيره.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري(٢) ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله عز وجل(٣) أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا». قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»(٤). أخرجاه في «الصحيحين».

قلت: البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم برقم (٣٠).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

---

(١) معناه من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فهي هذه.

(٢) أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم.

(٣) وهذا الحق أوجبه الله على نفسه تفضلًا منه ورحمة على عباده لم يوجبه عليه أحد خلافًا للمعتزلة فهم يقولون: إنه واجب عليه بالقياس على المخلوقات وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(٤) قال الوزير أبو المظفر رحمه الله كما في فتح المجيد: لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة ورأوا أن زيادة النعم تستدعي زيادة الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢].

وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩].

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية [النساء:٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدّوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم».

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب (١)

وقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢) [الأنعام:٨٢].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته (٣) ألقاها (٤) إلى مريم وروح منه (٥)، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه.

قلت: البخاري برقم (٣٤٣٥)، ومسلم برقم (٢٨).

ولهما في حديث عتبان رضي الله عنه: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي (٦) بذلك وجه الله».

---

(١) لما ذكر الترجمة السابقة وجوب التوحيد وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد ذكر هنا فضله وآثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضله.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.

(٣) وإنما سمي عيسى عليه السلام كلمة لوجوده بقول الله تعالى ﴿كُن﴾ كما قال السلف.

(٤) قوله: «ألقاها إلى مريم»: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل فكان عيسى بإذنه عز وجل.... وهو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل.

(٥) قوله: «وروح منه»: أي روح من الأرواح التي خلقها وأوجدها، مخلوقة من مخلوقاته.

(٦) قوله: «يبتغي»: أي من قالها مخلصًا صادقًا مبتعدًا عن الشرك وعن ظلم العباد، وعن ظلم نفسه فيدخل الجنة ابتداءً مع أول الداخلين، أما من قالها وعنده معاصي ومات على ذلك فهو=

قلت: البخاري برقم (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله! قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا! قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة(١)، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

قلت: رواه ابن حبان في «الموارد» برقم (٢٣٢٢)، والحاكم برقم (٢٥٢٨)، وهو ضعيف، من طريق دراج عن أبي الهيثم، ولكن للحديث شواهد.

وللترمذي وحسنه عن أنس ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب(٢) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

قلت: رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠)، وفيه كثير بن فائد مجهول حال، لكن للحديث شواهد.

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

= تحت المشيئة، والدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية ٤٨).

(١) أي في كفة الميزان، والكفة بكسر الكاف، ولكل ميزان كفتان.

(٢) قوله: «بقراب» بضم القاف: أي ملؤها أو ما يقارب ملؤها.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية (٨٢) التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عُبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عِتبان وما بعده، تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله» وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إله إلا الله».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أن لهن عمارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدَي الله ورسولَيه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه رُوحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كِفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب[1]

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً[2] قَانِتًا[3] لِلَّهِ حَنِيفًا[4] وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[5] [المؤمنون:٥٩].

عن حُصين بن عبد الرحمن رحمه الله قال: كنت عند سعيد بن جبير رحمه الله فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض[6] البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت[7]، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت[8]، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أنه قال: «لا رقية[9] إلا من عين[10] أو حُمة»، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن

(١) هذا الباب كالمتمم للباب الذي قبله لأن الذي قبله: «باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب» فمن فضله هذا الفضل العظيم الذي يسعى إليه كل عاقل، وهو دخول الجنة بغير حساب.

(٢) قوله: ﴿أمة﴾: أي إمامًا وأمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه: إمام، ودهر، وجماعة ودين.

(٣) قوله: ﴿قانتًا﴾: قال شيخ الإسلام رحمه الله: القنوت دوام الطاعة.

(٤) قوله: ﴿حنيفًا﴾: قال ابن القيم رحمه الله: المقبل على الله المعرض عمن سواه.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله: أي لا يدعون مع الله إلهًا غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله الأحد الصمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا.

(٦) قوله: «انقض»: أي سقط، «البارحة»: هي أقرب ليلة مضت.

(٧) قوله: «لدغت»: قال أهل اللغة: يقال لدغته العقرب وذوات السموم إذا أصابته بسمها وذلك بأن تأبره شوكتها.

(٨) قوله: «ارتقيت»: أي طلبت من يرقيني.

(٩) قال الخطابي رحمه الله: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة.

(١٠) قوله: «من عين أو حمة»: العين هي إصابة العائن غيره بعينه، والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم: سم العقرب وشبهها.

عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط[١]، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[٢]، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك[٣] بها عكاشة».

قلت: رواه البخاري (٣٤١٠)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له.

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

(١) قوله: «الرهط» قال النووي رحمه الله: الجماعة دون العشرة.

(٢) التوكل: هو صدق الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب بأخذ الحلال وترك الحرام.
وقيل التوكل على الله: اعتماد الإنسان على ربه عز وجل في ظاهره وباطنه في جلب المنافع ودفع المضار.

(٣) سبقك: قال في قرة العين: والظاهر أنه أراد صلوات الله وسلامه عليه سد الذريعة لئلا يتتابع بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلًا له وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء، بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرُّقية والكيّ من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عُمْقُ علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرضُ الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أنّ كل أمة تُحشرُ وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قِلّة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أنّ من لم يجبه أحدٌ: يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدمُ الاغترار بالكثرة، وعدم الزُّهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرُّقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمقُ علم السلف لقوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا» فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خُلُقه صلى الله عليه وسلم.

باب الخوف من الشرك (1)

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (2) [النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (3) [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء».

قلت: رواه أحمد برقم (٢٣٦٣١)، والطبراني في «الكبير» برقم (٤٣٠١)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٦٨٣١) عن محمود بن لبيد، وإسناده حسن.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا (4) دخل النار»، رواه البخاري.

قلت: رواه البخاري برقم (٤٤٩٧)، ومسلم برقم (٩٢).

---

(1) لما كان الشرك أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب عليه عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه.

(2) وفي هذه الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار.

(3) فلا يأمن من الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، ومعنى ﴿واجنبني﴾: أي اجعلني في جانب والأصنام في جانب آخر.

(4) قوله: «ندًّا»: أي شبيهًا ونظيرًا يدعوه مع الله ويستغيث به فهو مخلد في النار، والند على قسمين: الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادات أو بعضها وهو شرك أكبر. الثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت وكيسير الرياء.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

قلت: رواه مسلم برقم (٩٣).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قُرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه مَن لقيه لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العاشرة: فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سَلِمَ من الشرك.

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله (١)

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي (٢) أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ (٣) أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله (وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». أخرجاه.

قلت: البخاري برقم (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ

---

(١) لما ذكر المصنف هذا التوحيد وفضله وما يوجب الخوف من ضده، نبه بهذه الترجمة على أنه ينبغي لمن عرف ذلك أن لا يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم.

(٢) قوله: ﴿سبيلي﴾: طريقي ودعوتي.

(٣) أي على علم، فتضمنت هذه الدعوة الإخلاص والعلم.

كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي[1] عينيه، فأرسلوا إليه، فأتي به فبصق[2] في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حمر[3] النعم»، يدوكون: يخوضون.

قلت: أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦)[4].

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيه الله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

(١) قوله: «وهو يشتكي عينيه»: أي من الرمد.

(٢) قوله: «فبصق»: أي تفل.

(٣) قوله: «حمر»: بضم المهملة، وسكون الميم، جمع أحمر.

والنعم: بفتح النون والعين المهملة: أي خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

قال النووي رحمه الله: وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها.

(٤) وفي هذا الحديث حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان.

السادسة: وهي من أهمها-: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: «أن يوحدوا الله» معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية». إلخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: نَقْله في عينيه عَلَم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة، وشُغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يَسْعَ لها ومَنْعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب عليهم».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

تابع للمسألة الخامسة والعشرون: حصلت قصة لعمر بن عبد العزيز أن جيشه قاتل قرية بلخة قبل دعوتها وإنذارها فقال أهل بلخة كيف تقاتلونا قبل إنذارنا ودعوتنا فقال أمير الجيش هل أنذرتموهم قال الجيش لا فقال الأمير نرفع القضية إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقال لهم اخرجوا من القرية وأنذروهم وادعوهم قبل القتال فبدأ الجيش خروجه فقال أهل القرية لماذا تخرجون قالوا أمر من أمير المؤمنين لأننا ما أنذرناكم ودعوناكم فقال أهل بلخة قوم بلغ بهم العدل لهذا رضينا بحكمكم فبقوا في بلدنا فما خرج الجيش.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله[1]

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ[2] إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[3] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ[4] مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ[5] وَرُهْبَانَهُمْ[6] أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ[7] كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل».

---

(١) فائدة: هذه الترجمة لما سبقها أن هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه من توحيد العبادة، وفيها الحجة على من تعلق بالأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم.

وكذلك لما سبق الكلام على التوحيد وفضله والدعوة إليه كأن النفس اشرأبت إلى بيان ما هو هذا التوحيد الذي بُوّب له هذه الأبواب وجوبه وفضله والدعوة إليه، فيُجاب بهذا الباب: وهو تفسير التوحيد.

(٢) قوله تعالى ﴿ يبتغون﴾ : يطلبون.

(٣) قوله تعالى ﴿ الوسيلة﴾ : أي الشيء الذي يوصلهم إلى الله.

(٤) قوله تعالى ﴿براء﴾ : أي إنني متخلٍّ غاية التخلي عما تعبدون.

(٥) قوله تعالى ﴿ أحبارهم ﴾ : جمع حبر، وهو العالم، ويقال للعالم أيضًا بحر لكثرة علمه.

(٦) قوله تعالى ﴿ رهبانهم﴾ : أي عبادهم.

(٧) قوله تعالى ﴿ يحبونهم﴾: يجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله.

قلت : في «صحيح مسلم» برقم (٢٣) عن طارق بن أشيم ط.

فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة: وبيّنها بأمور واضحة:

* منها: آية الإسراء، بيّن فيها الردَّ على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها: بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر.

* ومنها: آية براءة، بيّن فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وبيّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يَعبُدُوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعةُ العلماء والعبادِ في المعصية، لا دُعاؤهم إياهم.

* ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف:٢٦-٢٧].

فاستثنى من المعبودين ربَّهُ.

وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالاة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٨].

* ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة:١٦٧].

ذكر أنهم يُحبُّون أندادهم كحبِّ الله، فدلَّ على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يُدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حُبِّ الله؟ فكيف بمن لم يُحبَّ إلا النِّدَّ وحده ولم يُحِبَّ الله؟

* ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَدُ من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

وهذا من أعظم ما يبين معنى: «لا إله إلا الله» فإنه لم يجعل التلفُّظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمه حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون الله، فإن شكَّ أو توقَّفَ لم يَحْرُمْ ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظَمَها وأجلَّها، ويا لَهُ من بيانٍ ما أوضَحَهُ، وحجةٍ ما أقطَعَها للمنازع.

تابع من ٢٤ مسألة أقسام الكفار باعتبار الشريعة

١ المعاهد = هو الذي بيننا وبينه عهد وهدنة لمدة يقدرها ولي الأمر
٢ الذمي = هو الذي يدفع الجزية للمسلمين
٣ المستأمن = هو الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان ولي الأمر إما للتجارة أو غير ذلك من الأغراض المشروعة.
٤ الحربي = حلال الدم والمال فليس بيننا وبينه عهد ولا جزية ولا أمان بيننا وبينه حرب

الخلاصة: الثلاث الأول لا يجوز الاعتداء عليهم ومن اعتدى عليهم عرّض نفسه للعقوبة ... (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا) رواه البخاري [illegible]

باب من الشرك (١) لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء (٢) أو دفعه (٣)

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم (١) مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

---

(١) أي بعض الشرك وليس كل الشرك (فمن) هنا تبعيضية، والشرك: اسم جنس يشمل الأصغر والأكبر.

(٢) قوله: «لرفع البلاء أو دفعه»: الفرق بينهما أن الرفع بعد نزول البلاء، والدفع قبل نزول البلاء ومن هنا ابتدأ المصنف رحمه الله في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فإن الضد لا يعرف إلا بضده كما قيل:

وبضدها تتبين الأشياء

(٣) وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب وتفصيل القول فيها؛ إنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعي أو قدري، فالسبب الشرعي كقراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾، والعسل، كقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾، والقدري كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعًا في هذا الألم أو المرض، ولكن لابد أن يكون أثره ظاهرًا، مباشرًا، كما لو اكتوى بالنار، فبرئ بذلك مثلًا.

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، ولا خروج له عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء.

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

فالأول: من ينكر الأسباب، وهم: كل من قال بنفي حكمة الله، وهم كالجبرية والأشعرية.

والثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعل ما ليس بسبب سببًا، وهؤلاء هم عامة الخرافيين، من الصوفية ونحوهم.

والثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها ولكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سببًا شرعيًا أو كونيًا، وهم الوسط بين الطرفين.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة (٢) من صفر، فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة (٣)، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا (٤)، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت (٥) أبدًا». رواه أحمد بسند لا بأس به.

قلت: رواه أحمد برقم (٢٠٠٠٠)، والصحيح أنه ضعيف؛ لأن فيه مبارك بن فضالة وهو ضعيف والحسن لم يسمع من عمران.

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة (٦) فلا ودع الله له».

قلت: رواه أحمد برقم (١٧٤٠٤)، وفيه خالد بن عبيد المعافري مجهول، ومشرح بن هاعان: ضعيف.

وفي رواية: «من تعلق تميمة (٧) فقد أشرك».

قلت: رواه أحمد برقم (١٧٤٢٢) عن عقبة بن عامر وإسناده حسن.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [الرعد: ١٠٦].

---

(١) قوله: ﴿أفرأيتم﴾: أي أخبروني.

(٢) قوله: «الحلقة»: من الحديد أو من الذهب أو من الفضة وما أشبه ذلك، والخيط معروف.

(٣) قوله: «الواهنة»: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيُرقى منها.

(٤) قوله: «وهنًا»: أي ضعفًا.

(٥) الفلاح: هو النجاة من المرهوب، وحصول المطلوب.

(٦) قوله: «ودعة»: وهي أحجار تؤخذ من البحر يعلقونها لدفع العين ويزعمون أن الإنسان إذا علق هذه الودعة لم تصبه العين أو لا يصيبه الجن.

(٧) قوله: «تميمة»: وهي شيء يعلق على الأولاد من خرز أو غيره يتقون بها العين.

قلت: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (١٢٤٠)، وهو ضعيف من طريق عزرة بن عبدالرحمن عن حذيفة ولم يسمع منه.

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لُبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر لقوله: «لا تزيدك إلا وهنًا».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا وُكِل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية، دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يُتِمّ له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له -أي ترك الله له-.

---

(١) في هذه الآية دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وشرك، ولكن ليس الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر لا يجتمع مع الإيمان، ولكن المراد هنا الشرك الأصغر.

باب ما جاء في الرقى (١) والتمائم (٢)

في «الصحيح» عن أبي بشير الأنصاري ؓ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.

قلت: رواه البخاري برقم (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

وعن ابن مسعود ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». رواه أحمد وأبو داود.

قلت: رواه أحمد برقم (٣٦١٥)، وأبوداود برقم (٣٨٨٣)، وهو حسن بمجموع طرقه.

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ؓ.

---

(١) الرقى تجوز بثلاثة شروط:

١- أن يكون بلسان مفهوم المعنى بالآيات والدعوات المعروفة.

٢- أن لا يخالف ذلك المعنى الشرع.

٣- أن يعتقد أنها لا تنفع بذاتها، وإنما هي سبب لتنفع بإذن الله، وفي الحديث: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا».

(٢) ولما كانت الرقى على ثلاثة أقسام:

١- قسم يجوز.

٢- وقسم لا يجوز.

٣- وقسم في جوازه خلاف، لم يجزم المصنف بكونها من الشرك؛ لأن في ذلك تفصيلًا بخلاف لبس الحلقة والخيط ونحوهما لما ذكر؛ فإن ذلك شرك مطلقًا.

و (**الرقى**) : هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و (**التولة**) : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وكل إليه»[1]. رواه أحمد والترمذي.

قلت: رواه أحمد برقم (١٨٧٨١)، والترمذي برقم (٢٠٧٢)، وهو ضعيف، فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته[2]، أو تقلد وترًا[3]، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه».

قلت: وهو صحيح رواه أحمد برقم (١٦٩٩٥).

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»[1] رواه وكيع.

---

(١) وكل إليه: أي أسند إليه وفوض.

(٢) قوله: «عقد لحيته»: يعقد طرفها، أو يعقدها من الوسط من أجل الافتخار والعظمة وقيل من أجل اتقاء العين.

(٣) قوله: «الوتر»: سلك من العصب يؤخذ من الشاة وتتخذ للقوس وترًا، ويستعملونها في أعناق إبلهم أو خيلهم أو في أعناقهم يزعمون أنه يمنع من العين وهذا شرك.

قلت: رواه ابن أبي شيبة برقم (٣٥٢٤)، وهو ضعيف فيه ليث بن أبي سليم.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن.

قلت: أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٣٥١٨) من طريق مغيرة بن مقسم عن إبراهيم ومغيرة مشهور بالتدليس عن إبراهيم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أو لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

=(١) قوله: «كعدل رقبة»: أي كأنه أعتقه من الشرك ففكه من النار، ولكن يقطعها بالتي هي أحسن ؛ لأن العنف يؤدي إلى المشاحنة والشقاق إلا إذا كان ذا شأن كالأمير والقاضي ونحوه ممن له سلطة ؛ فله أن يقطعها مباشرة.

باب من تبرك [1] بشجرة [2] أو حجر [3] ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ [4] وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن ونحن حُدَثاء [5] عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون [6] بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!! فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن [7]، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه.

---

(١) قوله: «تبرك»: وهو من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته.

وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١- أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن، قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾.

٢- أن يكون بأمر حسي معلوم: مثل التعليم والدعاء ونحوه، فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير، فيكون هذا بركة؛ لأننا نلنا منه خيرًا كثيرًا.

(٢) قوله: «بشجرة»: اسم جنس فيشمل أيّ شجرة كانت.

(٣) قوله: «أو حجر»: اسم جنس فيشمل أيّ حجر كان.

(٤) قوله تعالى ﴿أرأيتم اللات﴾: اللات وكان هذا صنم أصله رجل يلت السويق للحجاج والعزى: هو صنم يعبده قريش وبنو كنانة مشتق من اسم العزيز كان بنخلة بين مكة والطائف، ومناة: قيل مشتقة من المنات، وقيل من منى لكثرة ما يُمنى عنده من الدماء بمعنى يراق، وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج.

(٥) قوله: «حدثاء»: أي أننا قريبو عهد بكفر.

(٦) قوله: «ينوطون»: أي يعلقون بها أسلحتهم تبركًا ويقال لها ذات أنواط أي أنها تلقب بهذا اللقب.

(٧) بضم السين: أي الطرق.

قلت: وهو صحيح رواه الترمذي برقم (٢١٨٠).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم، أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم: لم يعذرهم الأمر، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم». فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير- وهو المقصود- أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨].

التاسعة: أن نفي هذا من معنى «لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله: «إنها السَّنن».

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما: «مَنْ ربُّك؟» فواضح، وأما «مَنْ نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلى آخره.

الحادية والعشرون: أن سُنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه، لا يُؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

باب ما جاء في الذبح (١) لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي (٢) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله (٣) من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا (٤)، لعن الله من غير منار (٥) الأرض» رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (١٩٧٨).

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب!» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب

(١) قوله: «الذبح»: أي ذبح البهائم.

(٢) قوله: ﴿نسكي﴾ أي ذبحي.

(٣) قوله: «لعن الله»: أصل اللعن من الله: الطرد والإبعاد، ومن الخلق: السب والدعاء.

(٤) قوله: «محدثًا»: يشمل الإحداث في الدين كالبدع والإحداث في الأمر: أي شئون الأمة كالجرائم وشبهها.

(٥) قوله: «منار الأرض»: أي معالمها وحدودها.

ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة»، رواه أحمد.[1]

قلت: وهو موقوف على سلمان الفارسي بسند صحيح، رواه أحمد في «الزهد» (٢٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية: تفسير: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لَعْن من لَعَنَ والديه، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لَعْن من آوى محدِثًا، وهو الرجل يُحدِث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

---

(١) فائدة حول ضابط الشرك الأكبر والأصغر:

قال العلامة السعدي رحمه الله: فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده، أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشرع فصرفه لله وحده توحيد وإخلاص وإيمان، وصرفه لغيره شرك وكفر.

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء.

كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر؛ فإنه يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان. اهـ

السادسة: لَعْن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرِّق بين حقك وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لَعْن المعين، ولَعْن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر؟

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دخل النار في ذباب».

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك».

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأوثان.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله (١)

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا (٢) لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ (٣) مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة (٤)، فسأله النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد (٥) من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

قلت: رواه أبو داود برقم (٣٣١٣)، وهو في «الصحيح المسند» للشيخ مقبل رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لا تقم فيه أبدا﴾ [التوبة: ١٠٨].

(١) هذا الانتقال من المؤلف من أحسن ما يكون؛ ففي الباب السابق ذكر الذبح لغير الله فنفس الفعل لغير الله، وفي هذا الباب ذكر الذبح لله، لكنه في مكان يذبح فيه لغير الله، كمن يريد أن يضحي لله في مكان يذبح فيه للأصنام؛ فلا يجوز أن يذبح فيه؛ لأنه موافقة للمشركين في ظاهر الحال، وربما أدخل الشيطان في قلبك نية سيئة فتعتقد أن الذبح في هذا المكان أفضل وما أشبه ذلك، وهذا خطر!.

(٢) ﴿أبدا﴾: إشارة إلى أن هذا المسجد سيبقى مسجد نفاق.

(٣) ﴿أسس على التقوى﴾: أي جعلت التقوى أساسا له فقام عليه.

(٤) قوله: «بوانة»: قيل موضع في أسفل مكة دون «يلملم»، وقيل هضبة من وراء ينبع.

(٥) قوله: «عيد»: العيد اسم لكل ما يعود أو يتكرر.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة، ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

باب من الشرك النذر[1] لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

قلت: في «صحيح البخاري» برقم (٦٦٩٦).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

---

(١) مثل أن يقول لفلان عليَّ نذر، أو لهذا القبر عليَّ نذر أو لجبريل عليَّ نذر، يريد بذلك التقرب إليهم وما أشبه ذلك فهذا شرك تجب التوبة منه وليس فيه كفارة.

فائدة: قال شيخ الإسلام رحمه الله: من نذر لغير الله كمن حلف بغير الله، والحالف بغير الله لا وفاء عليه، ولا كفارة، فكذلك الناذر وإنما عليه أن يستغفر الله ويتوب إليه. اهـ

باب من الشرك الاستعاذة[1] بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ[2] بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل[3] منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات[4] من شر[5] ما خلق[1]، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

---

(١) من للتبعيض وهذه الترجمة ليست على إطلاقها لأنه إذا استعاذ بشخص بما يقدر عليه فإنه جائز كالاستعانة.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير.

(٢) قوله: ﴿يَعُوذُونَ﴾: أي يلجئون إليهم مما يحاذرونه يظنون أنهم يعيذونهم لكن زادوهم رهقًا: أي خوفًا وذعرًا، وكانت العرب في الجاهلية إذا نزلوا منزلًا في وادٍ نادوا بأعلى أصواتهم أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه.

(٣) «من نزل منزلًا»: يشمل من نزل على سبيل الإقامة الدائمة أو الطارئة بدليل أنه نكرة في سياق الشرط والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم.

(٤) قوله: «التامات»: تمام الكلام بأمرين:

١- الصدق في الأخبار.

٢- العدل في الأحكام.

فائدة: قال القرطبي رحمه الله: هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلًا وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلًا، فتذكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمة.

(٥) أي من شر الذي خلق؛ لأن الله خلق كل شيء الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إليه؛ لأن خلق الشر لحكمة، فعاد بهذه الحكمة خيرًا فكان خيرًا.

وعلى هذا نقول: الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، أي مخلوقاته، وليس كل ما خلق الله فيه شر، لكن تستعيذ من شره، إن كان فيه شر؛ لأن مخلوقات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

قلت: رواه مسلم برقم (٢٧٠٨).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

١- شر محض، كالنار وإبليس، باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما الله من أجلها فهي خير.

٢- خير محض، كالجنة والرسل والملائكة.

٣- فيه شر وخير، كالإنس والجن والحيوان.

وأنت إنما تستعيذ من شر ما فيه شر.

(١) قوله: «ما خلق»: أي من شر الذي خلق.

باب من الشرك أن يستغيث[1] بغير الله أو يدعو غيره[2]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ[3] اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

وقوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا[4] عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ[5] مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الاستغاثة: هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون.

(٢) وكلام المؤلف هنا ليس على إطلاقه، بل يقيد بما لا يقدر عليه المستغاث به؛ إما لكونه ميتاً أو غائباً، أو يكون الشيء مما لا يقدر على إزالته إلا الله تعالى، فلو استغاث بميت ليدافع عنه أو بغائب أو بحي حاضر لينزل المطر، فهذا كله من الشرك، ولو استغاث بحي حاضر فيما يقدر عليه، كان جائزاً قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: من الآية١٥].

(٣) قوله: ﴿يمسسك﴾: أي يصبك بضر كالمرض، والفقر ونحوه.

(٤) قوله: ﴿فابتغوا﴾: أي اطلبوا عند الله الرزق.

(٥) كونه أضل الناس وذلك لأمور:

١- أنه يدعو من دون الله من لا يستجيب له.

٢- أن المدعوين غافلون عن دعائهم.

٣- أنه إذا حشر الناس كانوا له أعداء.

٤- أنه يكفر بعبادتهم يوم القيامة.

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ[1] إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل».

قلت: رواه أحمد برقم (٢٢٧٠٦)، من حديث عبادة بن الصامت ط وفيه علتان: الراوي عن عبادة مبهم، والراوي عن المبهم ابن لهيعة وهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تُطلب إلا منه.

(١) قوله ﴿المضطر﴾: أي الذي أصابه الضرر.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي، لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان: أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، والتأدب مع الله.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[2] * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

وفي «الصحيح» عن أنس قال: شُجَّ[3] النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته[4]، فقال: «كيف يفلح قوم شجُّوا نبيهم؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨].

قلت: رواه البخاري معلقًا عند حديث رقم (٤٠٦٩)، ومسلم موصولًا برقم (١٧٩١).

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن[1] فلانًا وفلانًا» بعدما

---

(١) أراد المؤلف من هذه الترجمة بيان ما عليه أهل الشرك في عهد النبي ﷺ عندما دعاهم وقاتلهم، فبين بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله ممن هذا وصفه.

(٢) قوله: ﴿قطمير﴾: سلب نواة التمر، وفي النواة ثلاثة أشياء ذكرها الله في القرآن لبيان حقارة الشيء وهي:

القطمير: هو اللفافة الرقيقة التي على النواة.

الفتيل: وهو سلك يكون في الشق الذي في النواة.

النقير: وهو النقرة التي تكون على ظهر النواة.

(٣) قوله: «شج» الشجة: الجرح بالرأس والوجه خاصة.

(٤) قوله: «رباعيته»: السنان المتوسطان يسميان: ثنايا، وما يليهما يسميا رباعيتين.

يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

قلت: رواه البخاري برقم (٤٠٦٩).

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

قلت: رواه البخاري عن سالم مرسلًا برقم (٤٠٧٠).

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ[2] الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا[3] أنفسكم، لا أغني[4] عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا».

قلت: رواه البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

=(١) قوله: «اللهم العن»: اللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وهؤلاء الثلاثة أسلموا جميعًا رضي الله عنهم.

(٢) قوله: «عشيرتك»: العشيرة قبيلة الرجل من الجد الرابع فما دون.

(٣) قوله: «اشتروا»: أي أنقذوها.

(٤) قوله: «لا أغني»: أي لا أدفع ولا أنفع.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين، وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى، مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾. فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما أُنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

الثانية عشرة: جده صلى الله عليه وسلم بحيث فعل ما نُسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا»، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا». فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.

باب [1]

قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ[2] الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[3] ينفذهم ذلك، حتى إذا فُزِّع[4] عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض (وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد[5] بين أصابعه) فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو

---

(١) أراد المصنف بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله. فإن كان هذا هو حالهم مع الله تعالى وهيبتهم منه، فكيف يدعوهم أحدٌ من دون الله! وإن كانوا لا يدعون مع الله تعالى لا استقلالًا ولا وساطة بالشفاعة فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى ولا يعبد ففيه الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة ولا يساويهم في صفة من صفاتهم.

(٢) العلو قسمان:

الأول: علو الصفات، وقد أجمع عليه كل من ينتسب للإسلام، حتى الجهمية ونحوهم.

الثاني: علو الذات، وقد أنكره كثير من المنتسبين للإسلام، مثل الجهمية وبعض الأشاعرة غير المحققين منهم، فإن المحققين منهم أثبتوا علو الذات.

وعلوه لا ينافي كونه مع الخلق يعلمهم ويسمعهم ويراهم، لأنه ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

(٣) قوله: ﴿صفوان﴾: هو الحجر الأملس، والسلسلة عليه يكون له صوت عظيم.

(٤) قوله: ﴿فزع﴾: الفزع: الخوف المفاجئ، والمعنى أزيل عنها الفزع.

(٥) قوله: «وبدد»: يعني فرق بين أصابعه.

الكاهن فربما أدركه الشهاب[1] قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق[2] بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

قلت : رواه البخاري برقم (٤٧٠١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد[3] الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجدًا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

قلت : رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٥١٥)، وغيره وفيه نعيم بن حماد وهو ضعيف والوليد بن مسلم وقد عنعن، وهو ممن يدلس تدليس التسوية.

---

(١) قوله : «الشهاب» : جزء منفصل من النجوم ثاقب قوي ينفذ فيما يصطدم به.

(٢) قوله : «فيصدق» : قال المصنف رحمه الله: وفيه قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة.

(٣) الإرادة تنقسم إلى قسمين:

١- الإرادة الشرعية، وهي تتعلق بما يحبه الله، سواء وقع أم لم يقع.

٢- الإرادة الكونية، وهي تتعلق بما يقع، سواء كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: «إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب».

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله.

العاشرة: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهاب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصْدُقُ بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي خوفٌ من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

الشفاعة(1)

(1) الشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر قال الله تعالى ﴿والشفع والوتر﴾.

واصطلاحًا: التوصل للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.

مثال جلب المنفعة: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها.

مثال دفع مضرة: شفاعة النبي ﷺ لمن يستحق النار أن لا يدخلها.

ولما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة أراد المصنف في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك هو عين الشرك وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا وأخرى، وإنما الله الذي يأذن للشافع ابتداءً، لا يشفع ابتداءً كما يظنه أعداء الله.

وقد قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة إلى قسمين رئيسيين، هما:

القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي أنواع:

١- الشفاعة العظمى: وهي من المقام المحمود الذي وعده الله.

٢- شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها.

٣- شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

القسم الثاني: الشفاعة العامة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولجميع المؤمنين، وهي أنواع:

١- الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

٢- الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

٣- الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض.

إشكال وجوابه:

فإن قيل: إن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه سبحانه، فكيف يسمى دعاء الإنسان لأخيه شفاعة، وهو لم يستأذن من ربه؟

والجواب: إن الله أمر بأن يدعو الإنسان لأخيه الميت، وأمْرُه بالدعاء إذْنٌ وزيادة.

وأما الشفاعة الموهومة التي يظنها عباد الأصنام من معبوديهم، فهي شفاعة باطلة؛ لأن الله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا من ارتضاه من الشفعاء والمشفوع لهم.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ[1] وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ[2] ۞ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قال أبو العباس[3]: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾.

هذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعطَ، واشفع تُشفَّع.

قلت: رواه البخاري برقم (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أي مشاركة: أي لا يملكونه انفرادًا ولا مشاركة.

(٢) ﴿ظهير﴾: بمعنى معين.

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية رحمه الله، يُكنى بذلك ولم يتزوج؛ لشغله بالعلم والجهاد، ولا زاهدًا في السنة، مات سنة (٧٢٨هـ) وله (٦٧) سنة وعشرة أشهر.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه».

قلت: رواه البخاري برقم (٩٩).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود[1].

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه[2].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أُذن له شَفَع.

(١) المحمود: أي المقام الذي يحمد عليه ﷺ.

(٢) أي: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

السادسة: مَنْ أسعدُ الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

باب(١)

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي(٢) مَنْ أَحْبَبْتَ(٣) وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

وفي «الصحيح» عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة(٤) جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل(٥)، فقال له: (يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج(٦) لك بها عند الله، فقالا له: أترغب(٧) عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].

---

(١) مناسبة هذا الباب الذي ذكره المؤلف: أن الرسل وأفضلهم النبي ﷺ لا يملكون شيئًا من أمر الله إلا ما أعطاهم الله وانهم لا يستطيعون هداية البشر فمن باب أولى غيرهم.

(٢) ﴿لا تهدي﴾: أي هداية توفيق.

(٣) ﴿من أحببت﴾: قيل من أحببت هدايته وقيل من أحببته محبة طبيعية لقرابته.

(٤) ﴿الوفاة﴾: أي الموت.

(٥) أبوجهل مات على ملة عبدالمطلب، أما عبدالله بن أبي أمية والمسيب الذي روى الحديث فأسلما رضي الله عنهما.

(٦) أي أذكرها حجة لك عند الله.

(٧) «أترغب عن ملة عبدالمطلب»: ملة عبد المطلب الشرك، وذكراه ما تهيج له نعرته، وهي ملة عبدالمطلب حتى لا يخرج عن ملة آبائه، والملة: هي الدين.

قلت: رواه البخاري برقم (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الثالثة: - وهي المسألة الكبرى-: تفسير قوله: «قل لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه مَنْ يدَّعي العلم.

الرابعة: أن أبا جَهْل وَمَنْ معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فقبَّح الله مَنْ أبو جَهْل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جِدُّه صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على مَنْ زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يُغفر له، بل نُهِيَ عن ذلك.

الثامنة: مَضَرَّة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مَضَرَّةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأنَّ في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره، فلأجل عَظَمتها وَوُضوحها عندهم اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو(١) في الصالحين(٢)

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ(٣) لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[النساء: ١٧١].

وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى(٤) الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا(٥) وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت».

قلت: رواه البخاري برقم (٤٩٢٠)، وهو ضعيف، وانظر كلام الحافظ تحت هذا الحديث.

---

(١) «الغلو»: هو مجاوزة الحد في الثناء مدحًا.

(٢) لما ذكر المصنف رحمه الله بعض ما فعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر، وهو الغلو مطلقًا لا سيما في الصالحين فإنه أصل الشرك قديمًا وحديثًا لقرب الشرك بالصالحين من النفوس فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

فائدة: ما الفرق بين التنطع والغلو والاجتهاد؟

الجواب: الغلو مجاوزة الحد، والتنطع معناه: التشدُّق بالشيء والتعمق فيه، وهو من أنواع الغلو، أما الاجتهاد: فإنه بذل الجهد لإدراك الحق، وليس فيه غلو إلا إذا كان المقصود بالاجتهاد كثرة الطاعة غير المشروعة، فقد تؤدي إلى الغلو.

(٣) ﴿أهل الكتاب﴾: اليهود والنصارى.

(٤) وحي وسوسة.

(٥) أنصابًا: هو كل ما ينصب من عصا أو حجر أو غيره.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني[١] كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» [أخرجاه].

قلت: رواه البخاري برقم (٣٤٤٥)، ولم يخرجه مسلم.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

قلت: حديث حسن رواه النسائي برقم (٣٠٥٩) مختصرًا، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون[٢]» قالها ثلاثًا.

قلت: رواه مسلم برقم (٢٦٧٠).

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

(١) «لا تطروني»: الإطراء المبالغة في المدح والكذب عليه.

(٢) «المتنطعون»: قال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم وهو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل متعمق قولًا وفعلًا.

الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.

فالأول: محبة الصالحين.

والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: -وهي أعجب وأعجب- قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم». فصلوات الله وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب ما جاء من التغليظ[1] فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده[2]

في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله».

قلت: رواه البخاري برقم (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين[3]، فتنة القبور، وفتنة التماثيل[4].

ولهما عنها قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق[5] يطرح خميصة[6] له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود

---

(١) «التغليظ»: هو التشديد.

(٢) نوع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور وأخرجه في أبواب مختلفة ليكون أوقع في القلب وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإن قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما سيمر بك إن شاء الله فكيف بعبادة أربابها من دون الله واعتيادها لذلك في اليوم والأسبوع والشهر مرات كثيرة.

(٣) فتنة القبور؛ لأنهم بنوا المساجد عليها، وفتنة التماثيل؛ لأنهم صوروا فجمعوا بين فتنتين، وإنما سمي ذلك فتنة لأنه سبب لصد الناس عن دينهم، وكل ما كان كذلك فإنه من الفتنة.

(٤) قال صاحب فتح المجيد: وهذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٥) «طفق»: جعل.

(٦) خميصة: كساء.

والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدًا. أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

قلت: رواه مسلم برقم (٥٣٢).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنَ مسجد، وهو معنى قولها: خُشي أن يتخذ مسجدًا، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

قلت: رواه البخاري برقم (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة[1] وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في «صحيحه».

(١) الساعة: يوم القيامة.

قلت: رواه أحمد برقم (٦٨٤٧)، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا الوادعي رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك، كيف بين لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها، وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أُكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله[1]

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ[2] غضب الله[3] على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قلت: رواه مالك في «الموطأ» برقم (٨٥) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلًا، وسنده صحيح.

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ[4] اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يلت لهم السويق[5] فمات فعكفوا على قبره.

قلت: رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» برقم (٣٢٥٣٥) وهو صحيح.

وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

---

(١) أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أمورًا:

الأول: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

الثالث: أنها إذا عبدت سميت أوثانًا ولو كانت قبور الصالحين.

الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد.

والغلو: هو مجاوزة الحد مدحًا أو ذمًّا، والمراد هنا المدح، والقبور لها حق علينا من وجهين:

١- ألَّا نفرط فيما يجب لها من الاحترام، فلا يجوز إهانتها، ولا الجلوس عليها، وما أشبه ذلك.

٢- ألَّا نغلو فيها فنتجاوز الحد.

(٢) أي عَظُمَ.

(٣) الغضب لله: صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل، لا تماثل غضب المخلوقين لا في الحقيقة ولا في الأثر، والحقيقة هو غليان دم القلب، والأثر قد يحصل من المخلوق ما لا يحمد، فيقتل المغضوب عليه، وربما يطلق زوجته... إلخ.

(٤) الهمزة للاستفهام، والمراد به التحقير، والخطاب لعابدي هذه الأصنام اللات والعزى.

(٥) السويق: هو عبارة عن الشعير يحمص، ثم يطحن، ثم يخلط بتمر أو شبيهه ثم يؤكل.

قلت: صحيح رواه البخاري برقم (٤٨٥٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج. رواه أهل السنن.

قلت: رواه أبوداود برقم (٣٢٣٦)، والترمذي برقم (٣٢٠)، وابن ماجه برقم (١٥٧٥)، وهو ضعيف فيه أبو صالح باذام مولى أم هانئ قد ترك ولا يثبت له سماع من ابن عباس رضي الله عنهما.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: - وهي من أهمها- صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لَعْنُه زوَّارات القبور.

العاشرة: لَعْنُهُ مَنْ أسرجها.

باب ما جاء في حماية المصطفى[1] جناب[2] التوحيد

وسده كل طريق يوصل إلى الشرك[3]

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ[4] عَزِيزٌ[5] عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

قلت: رواه أبوداود برقم (٢٠٤٢)، وهو حسن كما قال.

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة[6] كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه[7]، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من

---

(١) «المصطفى» مأخوذ من الصفوة، وهي خيار الشيء.

(٢) «جناب»: المراد حمايتُهُ عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه.

(٣) الجناب: هو الجانب، واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئًا من حمايته ﷺ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا: بيان حمايته الخاصة، ولقد بالغ ﷺ وحذر وأنذر وأبدى وأعاد وخص وعم في حمايته الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

(٤) أي من جنسكم.

(٥) ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي: مشقتكم؛ لأن العنت بمعنى المشقة.

(٦) فرجة مثل الطاقة والنافذة.

(٧) أي طلب منه الكف.

أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في «المختارة»[1].

قلت: رواه في «المختارة» برقم (٤٢٨)، ورواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وهو حسن لغيره.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبْلغه، وإن بعُد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه مَنْ أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

(١) والمختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين ومؤلفه هو أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام توفي سنة (٦٤٣هـ).

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان[1]

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ[2] وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً[3] عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا[4] عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن[5] من كان قبلكم حذو القذة[6] بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب[7] لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه.

(١) أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة الرد على عبّاد القبور الذين يفعلون الشرك، ويقولون: إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية، وهم يقولون: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فبين من هذا الباب من كلام الله ومن كلام رسوله ﷺ ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي وعد الله تبارك وتعالى وهم على ذلك.

(٢) الجبت: قيل السحر، وقيل هو الصنم، والأصح أنه عام لكل صنم أو سحر أو كهانة وما أشبه ذلك.

(٣) مثوبة: يطلق على الجزاء: أي بشرٍّ من ذلك جزاءً عند الله.

(٤) غلبوا على أمرهم: المراد بهم الحكام في ذلك الوقت.

(٥) سنن: أي طريق من كان قبلكم.

(٦) القذة: هو ريش السهم، مساوٍ.

(٧) جحر ضب: جحر الضب هو من أصغر الجحور ولو دخلوا جحر أسد فمن باب أولى أن ندخله.

قلت: رواه البخاري برقم (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)؛ وجملة «حذو القذة بالقذة» ليست في «الصحيحين»، وإنما هي من حديث شداد بن أوس أخرجه أحمد وغيره من طريق شهر بن حوشب، وهو ضعيف، والتي في «الصحيحين»: «ذراعًا بذراع».

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى[1] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين[2]: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة[3] بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[4]، وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا».

قلت: رواه مسلم برقم (٢٨٨٩).

ورواه البرقاني في «صحيحه»، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين[5]، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة

(١) زوى: أي جمع.

(٢) الكنزين: هما الذهب والفضة.

(٣) بسنة: أي الجدب والقحط.

(٤) بيضتهم: بيضة القوم ساحتهم، فيقال: بيضتهم: حوزتهم وساحتهم.

(٥) الأئمة المضلين: أي أئمة الشر المقتدى بهم.

حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

قلت: صحيح، رواه بهذه الزيادة أبو داود برقم (٤٢٥٢)، وابن ماجه برقم (٣٩٥٢)، وأحمد برقم (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان رضي الله عنه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: - وهي أهمها -: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت: وهل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.

السادسة: - وهي المقصودة بالترجمة - أن هذا لا بدّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها: أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجبُ العجاب: خروج مَنْ يَدَّعي النبوة، مثل المختار[1] مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حقٌّ، وأن القرآن حق، وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضادّ الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فِئَامٌ كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم مَنْ خذلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة:

منها إخباره بأن الله زَوَى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

وإخباره بأنه أُعطي الكنزين.

(١) ترجمه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨٩-٢٩١) فقال: المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أسلم أبوه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وكان له من الولد صفية بنت أبي عبيد، وكانت من الصالحات العابدات وهي زوجة عبدالله بن عمر، وكان عبدالله بن عمر لها مكرمًا ومحبًا، وماتت في حياته، وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصبيًا يبغض عليًا بغضًا شديدًا... إلى قوله: وقد ذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسر إلى أخصائه أنه يوحى إليه. اهـ.

وقال الذهبي في «السير» (٣/ ٥٣٨ فما بعدها): نشأ المختار فكان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلة الدين فكان الكذاب هذا ادعى أن الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب. اهـ.

وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

وإخباره بأنه منع الثالثة.

وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع.

وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.

وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء في السحر (١)

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ (٢) مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٣)﴾ [البقرة: من الآية ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر رضي الله عنه: (الجبت): السحر، (والطاغوت): الشيطان.

قلت: ضعيف، رواه البخاري معلقًا (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره».

وقال جابر: الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد.

قلت: علقه البخاري (٨/ ٢٥١)، ووصله الطبري في «تفسيره»، وهو صحيح.

---

(١) السحر في اللغة: ما خفي ولطف سببه.

وفي الشرع: ينقسم إلى قسمين:

١- عُقَدٌ ورُقى: وهو قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين بما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾.

٢- أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأته أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كيف تشاء. والصرف: العكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئًا فشيئًا حتى يهلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه، وفي عقله فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

والسحر قسمان:

شرك: وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين يعبدونهم ويتقربون إليهم ليسلطهم على المسحور.

عدوان وفسق: وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

(٢) ﴿اشتراه﴾ بمعنى تعلمه.

(٣) من خلاق: أي من نصيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات (١)» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف (٢)، وقذف (٣) المحصنات الغافلات (٤) المؤمنات».

قلت: رواه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

وعن جندب مرفوعًا: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

قلت: رواه الترمذي برقم (١٤٦٠)، والمرفوع فيه إسماعيل بن مسلم المكي، ضعيف، والحسن لم يسمع من سمرة.

وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

قلت: رواه البخاري برقم (٣١٥٦)، وأبو داود برقم (٣٠٤٣).

وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت.

قلت: صحيح، رواه عبدالرزاق (١٠/ ١٨٠).

وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) الموبقات: أي المهلكات.

(٢) الزحف: يوم اجتماع الصفين للقتال.

(٣) القذف: أي قذف النساء العفيفات بالفاحشة.

(٤) الغافلات: وهن العفيفات عن الزنا البعيدات عنه.

قلت: رواه الطبراني في «الكبير» برقم (٦٧٢٥).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟.

باب بيان شيء من أنواع السحر [1]

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت».

قلت: رواه أحمد برقم (١٥٩١٥)، وهو ضعيف من أجل حيان بن العلاء وقيل أبي العلاء.

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت، قال الحسن: رنة الشيطان[2]. إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس[1] شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر؛ زاد ما زاد». [رواه أبو داود] وإسناده صحيح.

---

(١) وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيرًا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر، فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره؛ ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبونه ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك؛ وذلك من شعب الشرك والكفر.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قال صاحب «تيسير العزيز الحميد»: لم أجد فيه كلامًا، والظاهر أن رنة الشيطان، أي: وحي الشيطان، فهذه من وحي الشيطان وإملائه، ولا شك أن الذي يتلقى أمره من وحي الشيطان أنه أتى نوعًا من الكفر.

قلت: رواه أبوداود برقم (٣٩٠٥)، وهو كما قال.

وللنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه».

قلت: رواه النسائي برقم (٤٠٨٤)، ورواه غيره من طريق عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العَضْه؟ هي النميمة، القالة بين الناس[2]» [رواه مسلم].

قلت: رواه مسلم برقم (٢٦٠٦).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحرًا»[3].

قلت: رواه البخاري برقم (٥١٤٦)، ورواه مسلم عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما برقم (٨٦٩).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

=(١) اقتبس: بمعنى تعلم.

(٢) القالة بين الناس: الذي ينقل من هنا إلى هنا فإن كان كاذبًا فهو بهت وإن كان صادقًا فهي نميمة.

(٣) البيان: هو الفصاحة والبلاغة وهي نعمة من الله على الإنسان قال الله تعالى ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾.

الثالثة: أن علم النجوم من نوع السحر.

الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

باب ما جاء في الكهان[1] ونحوهم

روى مسلم في «صحيحه»، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافًا[2] فسأله[3] عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا».

قلت: رواه مسلم برقم (٢٢٣٠)، بدون لفظة: «فصدقه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود.

قلت: رواه أبو داود برقم (٣٩٠٤)، وفيه حكيم الأثرم ضعيف يروي عن أبي تميمة الهجيمي ولم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

---

(١) الكهان هم الذين يأخذون عن مسترقي السمع وكانوا قبل المبعث متكاثرين، وأما بعد المبعث فإنهم قليل لأن الله حرس السماء بالشهب.

(٢) العراف: قيل هو الكاهن وهو الذي يخبر عن المستقبل.

(٣) سؤال الكهان والعرافين ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- أن يسأله سؤالًا مجردًا، فهذا حرام.

٢- أن يسأله فيصدقه ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

٣- أن يسأله ليختبره، هل هو صادق أم كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس، لفعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع ابن صياد.

٤- أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فهذا أمر مطلوب، وصاحبه مأجور.

قلت: لم يخرجه الأربعة، وإنما هو عند أحمد برقم (٩٥٣٦)، والحاكم (١/ ٨) من طريق خلاس بن عمرو عن أبي هريرة ط، وهو لم يسمع منه لكن له شواهد.

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفًا.

قلت: صحيح، رواه أبو يعلى برقم (٥٤٠٨).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا: «ليس منا من تَطيّر أو تُطيِّر له أو تَكهن أو تُكهِّن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، رواه البزار بإسناد جيد.

قلت: رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٣٩٩)، وهو من طريق الحسن عن عمران، ولم يسمع منه.

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..» إلخ.

قلت: رواه الطبراني برقم (٤١٨٥)، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

قلت: قاله البغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٨٥).

وقيل: هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

قلت: انظر «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٧٣).

وقال ابن عباس - في قوم يكتبون (أبا جاد)[1] وينظرون في النجوم -: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[2].

قلت: رواه عبدالرزاق (١١/ ٢٦)، وغيره وهو صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهِّن له.

الرابعة: ذكر من تُطيِّر له.

الخامسة: ذكر من سُحِر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

---

(١) أبا جاد: وهي حروف المعجم، فهم يكتبون الحروف ويضمونها إلى بعض ويقولون يقع كذا ويقع كذا.

(٢) أي من نصيب.

باب ما جاء في النشرة[1]

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود.

قلت: رواه أحمد برقم (١٤١٣٥)، وأبوداود برقم (٣٨٦٨)، وهو ضعيف من طريق وهب بن منبه عن جابر؛ ولم يلقه.

وقال: سئل أحمد[2] عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي «البخاري» عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب[3] أو يؤخذ[4] عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به[5]، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. اهـ

قلت: علقه البخاري، انظر «الفتح» (١٠/ ٢٤٣)، ووصله ابن عبدالبر في «التمهيد» (٦/ ٢٤٣-٢٤٤)، وهو صحيح.

---

(١) النشرة في اللغة: بضم النون: فعلة من النشر وهي التفريق، وفي الاصطلاح: حل السحر عن المسحور، ولما ذكر المصنف حكم السحرة والكهانة ذكر ما جاء في النشرة؛ لأنها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد وقد تكون مباحة كما سيأتي تفصيله.

قال أبو السعادات: النشرة: ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة أنه ينشر به ما خامره من الداء؛ أي يكشف ويزال.

(٢) سئل أحمد: قال ابن عثيمين: أجاب رحمه الله بقول الصحابي وكأنه ليس عنده أثر صحيح عن النبي ﷺ في ذلك وإلا لاستدل به.

(٣) طب: أي سحر وسمي طبًا من باب التفاؤل.

(٤) يؤخذ عن امرأته: أي يحبس عن زوجته فلا يتمكن من جماعها.

(٥) قال لا بأس به، إن أراد رحمه الله حلّ السحر بالسحر، كما هو ظاهر كلامه، فهذا قوله واجتهاد منه رحمه الله، وإن أراد حلّ السحر بالرقى والأدوية المباحة فلا إشكال، والصحيح أنه ليس بجائز.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قلت: عزاه صاحب «فتح المجيد» إلى ابن الجوزي لجامع المسانيد.

قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

قلت: انظر «زاد المعاد» (٤/١٢٤ و١٨١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

باب ما جاء في التطير[1]

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ[2] عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ[3]﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «لا عدوى[4]، ولا طيرة، ولا هامة[5]، ولا صفر[6]» أخرجاه.

---

(١) التطير في اللغة: مصدر تطيّر، وأصله مأخوذ من الطير.

وفي الاصطلاح: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، فالتشاؤم بالمرئي كمثل: لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا.

وبالمسموع مثل: من هم بأمر فسمع قائلاً يقول لآخر: يا خسران أو يا خائب فيتشاءم.

أو بالمعلوم كالتشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الشهور أو ببعض السنوات فهذه لا ترى ولا تسمع.

(٢) ﴿إنما طائركم عند الله﴾: المعنى إنما يصيبهم من الجدب والقحط ليس من موسى وقومه ولكنه من الله فهو الذي قدره.

(٣) ﴿مسرفون﴾: أي متجاوزن للحد الذي يجب أن تكونوا عليه.

(٤) «عدوى»: هو اسم من الإعداء وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره. قال صاحب «فتح المجيد»: وأحسن ما قيل فيه، أي في الجمع بين هذا الحديث وحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد»: قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله «عدوى» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله وأن هذه الأمور تعدي بطبعها وإلا فقد جعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك.

ولهذا قال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وقد قال: «لا يورد ممرض على مصح» وقال في الطاعون «من سمع به بأرض فلا يقدم عليه» وكل ذلك بتقدير الله تعالى.

(٥) هامة: قال الفراء: الهامة طير من طير الليل كأنه يعني البومة.

=

قلت: رواه البخاري برقم (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

زاد مسلم: «ولا نوء (٢)، ولا غول (٣)».

ولهما عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل (٤)؟ قال: «الكلمة الطيبة».

قلت: رواه البخاري برقم (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر ﷺ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

= قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إليّ نفسي أو أحدًا من أهل داري فجاء الحديث بنفي ذلك.

(١) صفر: قيل شهر صفر كانت العرب تتشاءم به لا سيما في النكاح، وقيل إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر.

(٢) نوء: واحد الأنواء: منازل القمر.

(٣) غول: قال أبو السعادات: الغول: واحد الغيلان.

كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلوّن في صور شتى وتغولهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

(٤) الفرق بين التطير والفأل:

أن الفأل الحسن لا يُخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله وليس فيه تعليق القلب بغير الله؛ بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة بخلاف التطير فهو بعكس ذلك.

قلت: رواه أبو داود برقم (٣٧١٩)، وفيه حبيب بن ثابت عن عروة بن عامر، وحبيب مدلس، وعروة مختلف في صحبته، ووهم المصنف حين جعله عن عقبة بن عامر ط فهو ليس من حديثه.

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا (١) إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

قلت: هو صحيح، رواه أبو داود برقم (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤).

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

قلت: رواه أحمد برقم (٧٠٤٥)، وهو ضعيف فيه ابن لهيعة.

وله من حديث الفضل بن عباس عنهما: إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك.

قلت: رواه أحمد برقم (١٨٢٤) من طريق محمد بن عبدالله بن علاثة وهو ضعيف عن مسلمة الجهني وهو مجهول ولم يسمع من الفضل فيكون الأثر ضعيفًا.

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثانية: نفي العدوى.

---

(١) «وما منا إلا» المعنى: ما من إنسان يسلم من التطير فالإنسان يسمع شيئًا فيتشاءم أو يبدأ في فعل فيجد أوله ليس بالسهل فيتشاءم ويتركه.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يُذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وَجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

باب ما جاء في التنجيم (١)

قال البخاري في «صحيحه»(٢): قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. اهـ

قلت: وهو صحيح، رواه البخاري معلقًا مع «الفتح» (٦/ ٢٩٥).

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

قلت: ذكره عنهم ابن رجب في «فضل علم السلف».

---

(١) التنجيم: قال شيخ الإسلام: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

(٢) واعلم أن التنجيم على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادعى أن مع الله خالقًا فهو مشرك شركًا أكبر، فهذا جعل المخلوق المسخَّر خالقًا مسخِّرًا.

الثاني: أن يجعلها سببًا يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب؛ فقد كذَّب بالقرآن.

الثالث: أن يعتقدها سببًا لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر[1]، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر». رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه».

قلت: رواه أحمد برقم (١٩٥٦٩)، وابن حبان (٥٣٤٦) من طريق أبي حريز عبدالله بن حسين الأزدي، وهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

(١) مدمن خمر: أي المداوم على شربها حتى مات ولم يتب أما إذا تاب فلا يعد مدمنًا.

باب ما جاء في الاستسقاء[1] بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ[2] أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن[3] في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم[4]، والنياحة[5]» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال[6] من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (٩٣٤).

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء[7] كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي

(١) الاستسقاء: طلب السقيا.

(٢) تجعلون رزقكم: تكذبون إنزال الله للمطر، وإغاثته لكم وتسألون النجوم وتستغيثون بها فكذبهم لذلك، لأن هذه النجوم لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا من الأمر.

(٣) الطعن في الأنساب: كأن يقول أنت ابن الدباغ أو ابن الحلاق أو نحو ذلك.

(٤) أي نسبة المطر إلى النجوم مع اعتقاد أن الفاعل هو الله عز وجل، أما إن اعتقد أن النجوم هي التي تخلق المطر والسحاب، أو دعاها من دون الله لتنزل المطر، فهذا شرك أكبر.

(٥) النياحة: هي رفع الصوت بالبكاء على الميت تصنعًا، لأنها تسخط بقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة.

(٦) قال القرطبي: السربال: واحد من السرابيل وهي الثياب والقمص يعني أنهن يلطخن بالقطران، فيكون لهن كالقميص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن وألمهن بسبب الجرب أشد.

(٧) على إثر سماء: أي على إثر مطر.

مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

قلت: رواه البخاري برقم (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

قلت: رواه مسلم (٧٣)، وليس في البخاري.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة.

الخامسة: قوله: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: (لقد صدق نوء كذا وكذا).

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: (أتدرون ماذا قال ربكم؟).

العاشرة: وعيد النائحة.

باب(١)

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا(٢) وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا(٣) وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا(٤) حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (١٥)، ومسلم (٤٤).

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

قلت: رواه البخاري برقم (١٦)، ومسلم (٤٣).

وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..» إلى آخره.

(١) لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه فبكماله يكمل، وبنقصه ينقص توحيد الإنسان، نبه المصنف على ذلك بهذه الترجمة.

(٢) اقترفتموها: أي اكتسبتموها.

(٣) كسادها: أي رخصها ونقصها.

(٤) فتربصوا: أي انتظروا ما يحل بكم من العقاب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير.

قلت: رواه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٣٥٣)، ورواه غيره ومداره على ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ [البقرة:١٦٦]، قال: المودة.

قلت: صحيح رواه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» برقم (٢٤٣١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته صلى الله عليه وسلم وتقديمها على النفس والأهل والمال.

الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال وَلاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًا تُساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر.

باب(١)

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠].

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

قلت: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٦/٥)، وغيره من طريق أبي عبدالرحمن محمد بن مروان السدي وهو متهم بالوضع وفيه عطية العوفي ضعيف، قال الشيخ سليمان صاحب «تيسير العزيز الحميد»: ومعناه صحيح.

وعن عائشة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس(١) رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في «صحيحه».

(١) المؤلف ﷺ أعقب باب المحبة بباب الخوف؛ لأن العبادة ترتكز على شيئين المحبة والخوف، فبالمحبة يكون امتثال الأمر وبالخوف يكون اجتناب النهي.

قلت: رواه ابن حبان في «الإحسان» برقم (٢٧٦)، وابن المبارك في «الزهد» (١٩٩)، والصحيح فيه الوقف.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

=(١) أي: طلب ما يرضي الناس ولو كان يسخط الله، فنتيجة ذلك أن يُعامل بنقيض قصده، فلذا قال: «سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»، فألقى في قلوبهم سخطه وكراهيته.

ومناسبة الحديث للترجمة: التمس رضي الناس بسخط الله، أي خوفًا منهم، حتى يرضوا عنه، فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى.

باب(١)

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ(٢) قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ(٣) اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

وقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾. قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، رواه البخاري والنسائي.

قلت: رواه البخاري برقم (٤٥٦٣).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

(١) مناسبة هذا الباب لما قبله هو أن الإنسان إذا أفرد الله سبحانه بالتوكل فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروهه، ولا يعتمد على غيره.

والتوكل: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في حصول المطلوب ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، وهذا أقرب تعريف له، ولابد فيه من أمرين:

١- أن يكون الاعتماد على الله اعتمادًا صادقًا حقيقيًا.

٢- فعل الأسباب المأذون فيها.

(٢) وجلت: أي خافت.

(٣) حسبك: أي كافيك.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد.

باب (١)

وقول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

قلت: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١٠٦)، وأخرجه غيره، وفي إسناده شبيب بن بشر وهو ضعيف، ومال ابن كثير في «تفسيره» إلى وقفه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله(٢)» رواه عبد الرزاق.

قلت: رواه عبدالرزاق برقم (١٩٧٠١) وغيره، وهو صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

---

(١) المراد بهذه الترجمة: التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف.
وهذا الباب اشتمل على موضوعين:
الأول: الأمن من مكر الله.
الثاني: القنوط من رحمة الله، وكلاهما طرفا نقيض.

(٢) اليأس: فقد الرجاء، والرَّوح بفتح الراء: قريب من معنى الرحمة، وهو: الفرج والتنفيس، واليأس من روح الله من كبائر الذنوب، لنتائجه السيئة.

باب من الإيمان بالله الصبر(١) على أقدار الله(٢)

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: من الآية ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

قلت: أخرجه الطبري برقم (٣٤١٩٥)، وعبدالرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨)، وهو صحيح.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

قلت: رواه مسلم برقم (٦٧).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «ليس منا من ضرب الخدود(٣)، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية(٤)».

قلت: رواه البخاري برقم (١٤٩٤)، ومسلم (١٠٣).

---

(١) الصبر في اللغة: الحبس، وفي الاصطلاح: حبس النفس على أشياء وعن أشياء وهو ثلاثة أقسام:
- الصبر على طاعة الله.
- الصبر عن معاصي الله.
- الصبر على أقدار الله.

(٢) أراد المؤلف أن يبين أن الصبر على ما يقدره الله من الإيمان وأن المؤمن لا ينبغي له أن يجزع عند المصيبة في نفسه أو ولده أو ماله أو أهله، بل يتحمل.

(٣) ضرب الخدود: قال الحافظ: خص الخد لكونه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.
وشق الجيوب: هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وذلك من عادة أهل الجاهلية حزنًا على الميت.

(٤) ودعا بدعوى الجاهلية: قال ابن القيم: كالدعاء إلى القبلية والعصبية.

وعن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي[1] به يوم القيامة».

وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط». حسنه الترمذي.

قلت: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وهو كما قال رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

---

(١) أي: يجازيه به يوم القيامة.

باب ما جاء في الرياء[1]

---

(١) ما جاء في الرياء: أي من النهي والتحذير: قال الحافظ: هو مشتق من الرؤية: والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها.

والفرق بينه وبين السمعة: أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بأعماله.

المؤلف رحمه الله أطلق الترجمة فلم يفصح بحكمه لأجل أن يحكم الإنسان بنفسه على الرياء على ما جاء فيه، والرياء خلق ذميم، وهو من صفات المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾.

فائدة: اعلم أن الرياء فيه تفصيل:

إن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس ولم يقلع عن الرياء بعمله فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده: ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله؛ فإن دفعه وخلَّص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

أما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها:

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة؛ فهذا ليس له في الدار الآخرة من نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن، ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا والقصدان متساويان أو متقاربان، فهذا وإن كان مؤمنًا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًا ولكنه يأخذ على عمله جعلًا يستعين به على العمل والدين كالجعلات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب =

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟[1]» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد.

قلت: رواه أحمد برقم (١١٢٥٢)، وغيره، وفيه كثير بن زيد ضعيف عن ربيع بن عبدالرحمن، قال البخاري فيه: منكر.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا وإنما أراد الدنيا وقصد أن يكون ما حصل معينًا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة كما قد عرف تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها والله أعلم. اهـ

(١) المسيح الدجال: أي ممسوح العين اليمنى، والدجل الكذب والتمويه.

الثانية: الأمر العظيم في ردّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسّر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا[1]

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا[2] نُوَفِّ[3] إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ[4] * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس[5] عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة[6]، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس[7] وإذا شيك[8] فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان

(١) أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادة ذلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

(٢) وزينتها: أي المال والبنون والنساء والحرث والأنعام والخيل المسومة.

(٣) نوف: أي نعطه ثوابه ما يريد.

(٤) لا يبخسون: أي لا ينقصون.

(٥) تعس: أي شقي وهو دعاء عليه بالهلاك.

(٦) الخميصة: هي كساء جميل، والخميلة: فراش وثير، ليس له همٌّ إلا هذا الأمر، فإذا كان عابدًا لهذه الأمور؛ لأنه صرف لها جهوده وهمته، فكيف بمن أراد بالعمل الصالح شيئًا من الدنيا، فجعل الدين وسيلة للدنيا، فهذا أعظم.

(٧) انتكس: انقلب على رأسه: وهو دعاء عليه بالخيبة.

(٨) وإذا شيك: أي أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش.

في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة[1] كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

قلت: رواه البخاري برقم (٢٨٨٦).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط.

الخامسة: قوله: «تعس وانتكس».

السادسة: قوله: «تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

(١) الساقة: أي في مؤخرة الجيش.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا[1] من دون الله

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!

قلت: أخرجه بنحوه أحمد برقم (٣١٢١)، ولفظه: «أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي، ويقول: نهى أبو بكر وعمر»، وغيره وهو صحيح.

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور:٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ [التوبة:٣١]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس

(١) أربابًا جمع رب، وهو المتصرف المالك، والتصرف نوعان: تصرف قدري وتصرف شرعي، فمن أطاع العلماء في مخالفة أمر الله ورسوله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله باعتبار التصرف الشرعي؛ لأنه اعتبرهم مشرعين واعتبر تشريعهم شرعًا يعمل به وبالعكس الأمراء.

قائدة: لما كانت الطاعة من أنواع العبادة بل هي العبادة فإنها طاعة بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، نبه المصنف بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق سبحانه وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقًا في ذلك غير رسول الله ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى؛ فهو مشرك.

يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله، فتحلونه؟» فقلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم». رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

قلت: رواه الترمذي برقم (٣٠٩٥)، وفيه غطيف بن أعين وهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان: هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عُبِد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبِد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[2] [النساء: ٦٠-٦٢].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

قلت: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥) وغيره، وفيه نعيم بن حماد ضعيف. وبعضهم حسن هذا الحديث منهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوصابي حفظه الله في كتاب «القول المفيد».

---

(١) هذا الباب له صلة قوية بما قبله؛ لأن ما قبله فيه حكم من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله وهذا فيه الإنكار على من أراد التحاكم إلى غير الله ورسوله.

(٢) توفيقًا: أي نسلك مع المسلمين والكفار ونوفق بين الطرفين.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة[1] وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية.

قلت: صحيح إلى الشعبي رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ رقم٩٨٩١).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

قلت: موضوع علقه البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، والحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٧)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح متروك.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على معرفة فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخامسة: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

---

(١) هي المال المدفوع للتوصل إلى الشيء.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

باب من جحد[1] شيئًا من الأسماء والصفات[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: من الآية ٣٠].

وفي «صحيح البخاري» قال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟».

قلت: رواه البخاري برقم (١٢٧).

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك فقال: «ما فرق هؤلاء؟[1] يجدون رقة عند محكمه[2]، ويهلكون عند متشابهه» انتهى.

---

(١) من الجحد: وهو الإنكار، والإنكار نوعان:

الأول: إنكار تكذيب وهذا كفر بلا شك.

الثاني: إنكار تأويل وهو أن لا ينكرها ولكن يتأولها إلى معنى يخالف ظاهرها وهذا نوعان:

أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية؛ فهذا حكمه الكفر.

(٢) أي من أسماء الله وصفاته، والمراد ما حكمه هل هو ناج أو هالك.

ولما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته نبه المصنف على وجوب الإيمان بذلك وأيضًا فالتوحيد ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية.

توحيد الأسماء والصفات.

توحيد العبادة.

والأولان وسيلة إلى الثالث فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر، وكلها متلازمة فناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات.

قلت: وهو صحيح، رواه عبدالرزاق برقم (٢٠٨٩٥).

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: «الرحمن» أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (٢٠٣٩٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد مرسلًا فهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة: أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

(١) ما فرق: أي ما أخوف هؤلاء.

(٢) عند محكمه: المحكم الذي اتضح معناه وتبين، والمتشابه هو الذي يخفى معناه.

باب (١)

قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (٢١٨٤٠)، وهو ضعيف من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وابن أبي نجيح مدلس وقد عنعن، وكذلك لم يسمع التفسير من مجاهد.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

قلت: أخرجه الطبري في «تفسيره» برقم (٢١٨٤٢)، وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

قلت: قال الطبري: وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رُزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا، ذكر هذا محقق شرح «كتاب التوحيد» لابن باز رحمه الله تعالى.

وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..» الحديث، وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

(١) المراد بهذه الترجمة: التأدب مع جناب الربوبية، عن الألفاظ الشركية الخفية كنسبة النعم إلى غير الله؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح[1] حاذقًا[2]، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

(١) الملاح: هو قائد السفينة.

(٢) حاذقًا: أي جيدًا بالقيادة.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم.

قلت: حسن، رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٩)، وفيه شبيب بن بشر فيه كلام، وحسن حديثه شيخنا مقبل رحمه الله في «الصحيح المسند» (١/٦٨).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

قلت: رواه الترمذي برقم (١٥٣٥)، وفيه انقطاع من طريق سعيد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعًا وهو لم يسمع منه.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا.

(١) الترجمة السابقة على قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا﴾ الآية يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندًا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ وكالحلف بغير الله...إلخ فكل هذا ينافي التوحيد.

قلت: رواه عبدالرزاق في «مصنفه» (٨/٤٦٩) من طريق وبرة بن عبدالرحمن وهو لم يسمع من ابن مسعود.

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح.

قلت: رواه أبو داود برقم (٤٩٨٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» برقم (٣٤٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى التيمي وهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر: أنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثُمَّ في اللفظ.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله[1]

عن ابن عمر عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

قلت: رواه ابن ماجه (٢١٠١)، من طريق محمد بن عجلان عن نافع، وروايته عنه مضطربة.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

---

(١) ويراد بهذا إذا توجهت اليمين إلى خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة؛ فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه، بخلاف الكذاب المعروف كذبه.

وكذلك إذا وجهت عليك اليمين وأنت ثقة مأمون وجب عليه قبوله.

وإذا لم يكن هناك اقتناع بالحلف بالله ففيه شيء من نقص تعظيم الله، وهذا ينافي كمال التوحيد.

باب قول: ما شاء الله وشئت[1]

عن قتيلة، أن يهوديًّا[2] أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه.

قلت: رواه النسائي برقم (٣٨٠٤)، وهو في «الصحيح المسند».

وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًّا؟! ما شاء الله وحده».

قلت: وهو حسن، رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٨٨).

ولابن ماجه: عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما

---

(١) فهذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾، فإن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ فهو أصغر.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن من جملة ضوابط الشرك الأصغر: أن ما كان وسيلة للشرك الأكبر فهو شرك أصغر.

(٢) اليهودي المنتسب إلى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، وسمّوا بذلك من قوله تعالى: ﴿إنَّا هُدنا إليك﴾: أي رجعنا، أو لأن جدهم اسمه «يهوذا بن يعقوب»، فتكون التسمية من أجل النسب، وفي الأول تكون التسمية من أجل العمل، ولا يبعد أن تكون من الاثنين جميعًا.

أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلًا رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

قلت: رواه ابن ماجه برقم (٢١١٨)، وهو صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله ندًّا؟!». فكيف بمن قال: ما لي من ألوذ به سواك. والبيتين بعده؟.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

باب من سب[1] الدهر فقد آذى الله[2]

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

في «الصحيح» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر[3]، أقلب الليل والنهار».

قلت: رواه البخاري برقم (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

---

(١) السب: الشتم، والتقبيح واللوم وما أشبه ذلك.

والدهر: هو الزمان والوقت، وتقلب الليل والنهار.

(٢) أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان أن سب الدهر وغيره من المعاصي من جملة الأشياء التي تناقض التوحيد وتضعفه وتنافي كماله.

(٣) وأنا الدهر: أي مدبر الدهر ومصرفه.

سبُّ الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿هذا يوم عصيب﴾.

الثاني: أن يسبَّ الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبِّه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقًا؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقًا فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهًا يستحق أن يُعبد فإنه كافر.

الثالث: أن يسبَّ الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبّه لأنه محل هذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل، والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويكون فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلاً، وليس هذا السبّ يكفِّر؛ لأنه لم يسبّ الله تعالى مباشرة.

وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

قلت: رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى الله.

الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر».

الرابعة: أنه قد يكون سابًا، ولو لم يقصده بقلبه.

باب التسمي بقاضي [(1)] القضاة ونحوه [(2)]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع [(3)] اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل «شاهان شاه».

قلت: رواه البخاري رقم (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣).

وفي رواية: «أغيظ [(4)] رجل على الله يوم القيامة وأخبثه».

قلت: رواه مسلم.

قوله «أخنع»: يعني أوضع.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: إن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

---

(1) التسمي بقاضي القضاة، المعنى: التسمي بحاكم الحكام ونحوه ومناسبة الباب لكتاب التوحيد أن من تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله.

(2) أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان النهي عن الأسماء التي يكون لها تعلق بمشابهة أسماء الله تعالى لأنه سبحانه له أسماء يختص بها ليس لأحد أن يتسمى بها؛ لأن من كمال التوحيد وتمام التوحيد عدم التسمي بهذه الأسماء والتسمي بها ينقص التوحيد والإيمان، ودخول فيما لا ينبغي.

(3) أخنع: أي أوضع اسم، والمراد بالاسم المسمى. [illegible]

(4) أغيظ: من الغيظ وهو الغضب: أي إن أغضب شيء عند الله عز وجل وأخبثه هو هذا الاسم، وإذا كان سببًا لغضب الله وخبيثًا فإن التسمي به من الكبائر.

باب احترام [(1)] أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك [(2)]

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا فما لك من الولد؟» قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره.

قلت: رواه أبو داود برقم (٤٩٥٥)، وهو في «الصحيح المسند».

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

---

(1) احترام أسماء الله والأسماء قسمان:

أسماء لا يسمى بها إلا الله سبحانه كالرحمن والخالق، ورب العالمين وغيرها.

أسماء يسمى بها غيره سبحانه فيكون لله ما يليق به وللعبد ما يليق به، والمراد بها هنا الأول.

(2) أراد المؤلف بيان وجوب احترام أسماء الله والحذر من امتهانها واحتقارها أو تسمية غير الله بها من الأسماء التي يختص الله بها، ولهذا شرع تغيير الاسم لأجل احترامها وتعظيمها.

باب من هزل(١) بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ(٢)

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر رضي الله عنهما، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض -: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا(٣)، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن(٤) عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه - وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب - فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

(١) هزل: سخر واستهزأ.

(٢) أي أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئًا من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعًا. اهـ من «تيسير العزيز الحميد».

(٣) أرغب بطونًا: أي أكثر أكلًا.

(٤) أجبن عند اللقاء: أي ليسوا بشجعان.

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (١٦٩٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٠٠٤٧)، وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» للإمام الوادعي رحمه الله.

فيه مسائل:

الأولى: - وهي العظيمة- أن من هزل بهذا: إنه كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة، وبين النصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله، وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.

باب[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به.

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (٣٠٥٩٩) من طريق ابن أبي نجيح وهو مدلس وقد عنعن عن مجاهد، وطعن بعضهم في سماعه التفسير من مجاهد.

وقال ابن عباس: يريد من عندي.

قلت: أخرجه القرطبي (١٣/ ٣١٥).

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب.

قلت: حسن، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (١٠١٢٣).

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (٣٠١٧١)، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وهو لم يسمع منه التفسير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا،

(١) هذا الباب عقده المؤلف لبيان ما غلب على النفوس من إنكارها النعم وجحدها وكفرانها وعدم الاعتراف بها لمعطيها سبحانه وتعالى.

فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر شك إسحاق فأعطي ناقة عشراء[1]، وقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا؛ فأنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا[2] أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق[3] كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال:

(١) عشراء: قيل هي الحامل مطلقًا.

(٢) بعيرًا أتبلغ به في سفري: أي لست أطلب الإبل وإنما يوصلني إلى أهلي فقط.

(٣) الحقوق كثيرة: أي هذا المال الذي عندي متعلق به حقوق كثيرة ليس حقك أنت فقط.

رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال[1] في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾.

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العِبَر العظيمة.

(١) الحبال: يعني الأسباب.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب[2].

قلت: كما في «مراتب الإجماع» لابن حزم رحمه الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو

(١) أراد المؤلف عنه بيان تحريم التعبد لغير الله، وأنه لا يجوز أن يُعبَّد أحد لغير الله فلا يقال: عبدالنبي أو عبدالكعبة أو عبدالحسين وما أشبه ذلك بل يكون التعبد لله وحده: كعبدالرحمن وعبدالله... إلخ.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هذا تقرير ابن حزم رحمه الله، ولكن الصواب تحريم التعبيد للمطلب، فلا يجوز لأحد أن يُسمّي ابنه عبدالمطلب.

وأما قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنا ابن عبدالمطلب» فهذا من باب الإخبار، وليس من باب الإنشاء، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبر أن له جدًّا اسمه عبدالمطلب، ولم يرد عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه سمّى عبدالمطلب، أو أنه أذن لأحد من صحابته بذلك، ولا أنه أقرّ أحدًا على تسميته عبدالمطلب، والكلام في الحكم لا في الإخبار، وفرق بين الإخبار والإنشاء والإقرار، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنما بنو هاشم وبنو عبد مناف شيء واحد»، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عند البخاري، ولا يجوز التسمي بعبد مناف.

وقد قال العلماء: إن حاكي الكفر ليس بكافر، فالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتكلم عن شيء قد وقع وانتهى ومضى، فالصواب أنه لا يجوز أن يُعبَّد لغير الله مطلقًا، لا بعبد المطلب، ولا غيره، فعليه يكون التعبيد لغير الله من الشرك.

لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما سمياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فذكر لهما فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ رواه ابن أبي حاتم.

قلت: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٦٥٤)، وهو ضعيف من طريق شريك عن خصيف، وهما ضعيفان.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

قلت: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٩٥٩)، وهو ضعيف من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، ولم يسمع منه التفسير.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا.

قلت: أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٦٤٨) من طريق ابن أبي نجيح وقد نص القطان أنه لم يسمع من مجاهد التفسير.

وذكر معناه عن الحسن.

قلت: رواه عبدالرزاق في «التفسير» برقم (٩٨٣)، عن معمر وهو يضعف في روايته عن البصريين.

وسعيد وغيرهما.

قلت: هو سعيد بن جبير كما عند ابن أبي حاتم برقم (٨٦٥١).

من طريق سالم بن أبي حفصة سمعت سعيد بن جبير فقال: «مثل خلقنا» وسالم متكلم فيه.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2] فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون.

قلت: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» برقم (٨٥٨٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو لم يسمع منه.

وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز.

قلت: سنده ضعيف إلى ابن عباس فهو مسلسل بالعوفيين، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٨٥٨٤).

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

قلت: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» برقم (٨٥٨٧) من طريق مبشر بن عبيد القرشي عن الأعمش ومبشر متروك.

---

(١) هذا الباب يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات لأن هذا الباب جامع لأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله عز وجل بما ثبت له من صفات الكمال على وجه الحقيقة فلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

(٢) الحسنى: أي بالغة في الحسن.

فادعوه بها: الدعاء هو السؤال والدعاء قد يكون بلسان المقال مثل: اللهم اغفر لي يا غفور وهكذا، يلحدون في أسمائه؛ أي يميلون بها عما يجب فيها.

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

باب لا يقال: السلام[1] على الله[2]

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله[3] هو السلام».

قلت: رواه البخاري برقم (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: تفسير أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

(١) لا يقال السلام على الله: أي لا تقل السلام عليك يا رب.

(٢) هذه الترجمة أتى بها المؤلف بصيغة النفي وهو محتمل للكراهة والتحريم، لكن استدلاله بالحديث يقتضي أنه للتحريم وهو كذلك. اهـ ابن عثيمين.

(٣) فإن الله هو السلام: أي أن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل فهو الموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص.

باب قول: اللهم اغفر لي[1] إن شئت

في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له».

قلت: رواه البخاري برقم (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

ولمسلم: «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

(١) أراد المؤلف من هذه الترجمة أن يبين أنه من كمال الإيمان ومن كمال التوحيد العزم على المسألة وعدم التردد وأن المؤمن إذا دعا ربه فليعزم ولا يتردد فإنه جواد عظيم وهو الغني الحميد فلا يليق بالمؤمن أن يستثني في سؤاله وإنما يستثني في سؤال المخلوق لأنه قد يعجز أو يمتنع أما الرب فهو الغني القادر.

باب لا يقول: عبدي وأمتي [1]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي، وغلامي».

قلت: رواه البخاري برقم (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

فيه مسائل:

الأولى: النهيُ عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد ربي، ولا يقال له: أطعِمْ ربَّكَ.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

(١) من باب الكمال والتأدب مع الله والاعتراف به سبحانه لأنه المالك لكل شيء والمتصرف في كل شيء، وكذلك لما في ذلك من الإيهام من المشاركة في الربوبية فنهي عن ذلك أدبًا مع جناب الربوبية، وحماية لجناب التوحيد.

باب لا يرد من سأل بالله [1]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

قلت: رواه أبو داود برقم (١٦٧٢)، والنسائي (٢٣٤٨)، وهو كما قال.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

(١) ذكر المؤلف هذا الباب نظرًا لما فيه من تعظيم الله وإجلاله، في إعطاء من سأله.

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة[1]

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة».

رواه أبو داود.

قلت: رواه أبوداود برقم (١٦٧١)، وفيه سليمان بن قرم بن معاذ وهو ضعيف.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثباتُ صفة الوجه.

(١) مناسبة هذا الباب للتوحيد أن فيه تعظيم وجه الله عز وجل؛ بحيث لا يسأل به إلا الجنة.

باب ما جاء في اللو[1]

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح[2] عمل الشيطان».

قلت: رواه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(١) «لو» تستعمل على أوجه:

١- أن تستعمل في الاعتراض على الشرع وهذا محرم.

٢- أن تستعمل للاعتراض على القدر وهذا محرم.

٣- أن تستعمل للندم والتحسر وهذا محرم.

٤- أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية وهذا باطل، كقول المشركين: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾، وقولهم: ﴿لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾، وهذا باطل.

٥- أن تستعمل في التمني وحكمه بحسب المتمني إن كان خيرًا فخير وإن كان شرًا فشر.

٦- أن تستعمل في الخبر المحض، وهذا جائز، مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولأحللت معكم».

(٢) اعلم أن من كمال التوحيد: الاستسلام للقضاء والقدر، كالمصائب إذا جرى بها القدر ورضي بالله ربًا؛ فإن هذا من جنس المصائب والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والإرجاع والتوبة.

وقول: «لو»: لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر مع ما ينافي توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا إلا من شاء الله، فهذا وجه إيراد هذا الباب في التوحيد.

(٣) «تفتح»: أي تفتح على العبد عمل الشيطان أي وسواسه وتشكيكه ، فينبغي للمؤمن أن يتجنبها حتى لا يقع في حبائل الشيطان وإملائه ما لا ينبغي؛ لأن هذا أمر الله هو الذي قدرها.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: (لو) إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.

باب النهي عن سب[1] الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» صححه الترمذي.

قلت: رواه الترمذي في «الفتن» باب ما جاء في النهي عن سب الريح، والراجح وقفه، لكن للحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها وهو في «صحيح مسلم»، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في «الصحيح المسند».

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

(١) لما كان سب الريح وغيرها من المخلوقات نقصا في الإيمان وقدحا في التوحيد نبه المؤلف على ذلك.

باب[1]

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٥٤].

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو الظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

---

(١) أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله لأن ذلك من موجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به ؛ لأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة المتوكل عليه.

فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات.

وبالجملة : فمن علم بقلبه حقيقة معاني أسماء الله وصفاته ؛ قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة ؛ لأن كل صفة لها عبودية خاصة، وحسن ظن خاص.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

قلت: كلام ابن القيم في «زاد المعاد» ذكره عقب غزوة أحد، تحت بحث (الحكم والغايات المحمودة التي كانت فيها).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب ما جاء في منكري القدر (١)

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (٨).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»».

قلت: صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠)، وغيره.

---

(١) القدر هو تقدير الله عز وجل للكائنات وهو سر مكتوم لا يعلمه إلا الله أو من شاء من خلقه.

ولما كان الإيمان بالقدر من أصول الإيمان وضع المؤلف هذا الباب؛ لأن هذا مما يحصل به التوحيد وينتفي به الكفر.

قال ابن القيم ما معناه: مراتب القضاء والقدر أربع:

الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

الثانية: كتابة ذلك عنده في الأزل قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن منها، كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه لها وإيجاده وتكوينه؛ فالله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق.

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

قلت: رواه أحمد برقم (٢٢٧٠٥)، وفيه أيوب بن زياد فيه جهالة، ولكن يغني عنه الذي سبق.

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

قلت: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٠)، وفي سنده عثمان بن أبي العاتكة وهو ضعيف.

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: «لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار». قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح رواه الحاكم في «صحيحه».

قلت: رواه أحمد برقم (٢١٩٢٢) وغيره، وهو حديث حسن، وانظر «الصحيح المسند» مسند زيد بن ثابت برقم (٣٥٠).

فيه مسائل:

الأولى: بيان كيفية الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان فرض الإيمان.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمنْ به.

الرابعة: الإخبار أن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذِكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: بَرَاءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادةُ السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

باب ما جاء في المصورين [1]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم [2] ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

ولهما عن عائشة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون [3] بخلق الله».

قلت: رواه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

ولهما عن ابن عباس ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم».

قلت: رواه البخاري برقم (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

ولهما عنه مرفوعًا: «من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».

---

(١) يريد المؤلف من هذا الباب بيان أن التصوير من جملة الكبائر التي تقدح في التوحيد وتعرض فاعله لغضب الله والنار وتنقص إيمانه وتضعفه.

والمصورون: هم الذين يضاهئون بخلق الله في تصوير الحيوانات سواءٌ باليد أو بأي آلة إذا كان المصوَّر من ذوات الأرواح.

(٢) أظلم: أي لا أحد أظلم من المصور.

(٣) يضاهئون: أي يشابهون.

قلت: رواه البخاري برقم (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا[1] إلا سويته».

قلت: رواه مسلم برقم (٩٦٩).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي).

الثالثة: التنبيه على قدرته، وعجزهم؛ لقوله: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة».

الرابعة: التصريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وُجدت.

---

(١) مشرفًا: أي عاليًا.

ما جاء في كثرة[1] الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف[2] منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أُشيمط[1] زانٍ، وعائل[2] مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح.

---

(١) الحلف: هو اليمين والقسم، وهو تأكيد الشيء بذكر معظَّم بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم وهي: الباء والواو والتاء.

ومناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد أن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله من تمام التوحيد.

(٢) قال ابن عثيمين: تشمل أحوال اليمين الثلاثة وهي: الابتداء بالحلف، والانتهاء بالكفارة، والوسط الحنث... فحفظ اليمين له ثلاث معان:

١- حفظها ابتداءً وذلك بعدم كثرة الحلف، وليعلم أن كثرة الحلف تضعف الثقة بالشخص وتوجب الشك في أخباره.

٢- حفظها وسطًا، وذلك بعدم الحنث فيها إلا ما استثني.

٣- حفظها انتهاء في إخراج الكفارة بعد الحنث.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ويمكن أن يضاف إلى ذلك معنى رابع وهو أن لا يحلف بغير الله لأن الرسول ﷺ سمى القسم بغير الله حلفًا.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الحلف المراد به الحلف الكاذب كما بينته رواية أحمد «اليمين الكاذبة» (٢/ ٢٣٥) أما الصادقة فليس فيها عقوبة لكن لا يكثر منها.

قلت : رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١١)، و «الأوسط» (٥٥٧٣)، و «الصغير» (٩٧٥)، وهو كما قال.

وفي «الصحيح» عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا؟ ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن[3]».

قلت : رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق[4] شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

قلت : رواه البخاري برقم (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

وقال إبراهيم: كانوا[5] يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

قلت : رواه البخاري برقم (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

=(١) أشيمط : أي شيخ أشمطه الشيب

(٢) العائل : هو الفقير.

(٣) السمن : كثرة الشحم واللحم.
والمراد أن همهم إصلاح أبدانهم وتسمينها.

(٤) تسبق شهادة أحدهم يمينه : وهذا من قلة المبالاة والاستهتار ولضعف إيمانهم وقلته.

(٥) ويستفاد من هذا الأثر جواز ضرب الصبي على الأخلاق إذا لم يتأدب إلا بالضرب.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

باب ما جاء في ذمة(١) الله وذمة نبيه(٢)

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا(٣) ولا تغدروا(٤)، ولا تمثلوا(٥)، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة(٦) والفيء شيء إلا أن يجاهدوا

(١) الذمة: العهد وسمي بذلك لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بدينه في ذمته.

(٢) المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها بعد ما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله فإنه متى وقع هذا النقض في هذا الحال كان انتهاكًا للمسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركًا لتعظيم الله، وارتكابًا لأكبر المفسدتين كما نبه عليه ﷺ وفي ذلك أيضًا تهوين لدين الإسلام وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.

(٣) لا تغلوا: أي لا تكتموا شيئًا من الغنيمة.

(٤) لا تغدروا: الغدر الخيانة.

(٥) لا تمثلوا: التمثيل التشويه بقطع بعض الأعضاء.

(٦) الغنيمة والفيء: الفرق بينهما أن الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار بقتال أو ما ألحق به، والفيء: ما يصرف لبيت المال.

مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية(١)، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك: فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله(٢) وذمة نبيه وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا» رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (١٧٣١).

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «اغزوا بسم الله في سبيل الله».

الرابعة: قوله: «قاتلوا من كفر بالله».

الخامسة: قوله: «استعن بالله وقاتلهم».

السادسة: الفرق بين حُكم الله وحُكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم، عند الحاجة، بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

(١) الجزية: هي عبارة عن مال مدفوع من غير مسلم عوضًا عن حمايته وإقامته بدارنا، والذمي معصوم ماله ودمه وذريته مقابل الجزية.

(٢) ذمة الله: أي عهد الله.

باب ما جاء في الإقسام (١) على الله (٢)

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم.

قلت: رواه مسلم برقم (٢٦٢١).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت (٣) دنياه وآخرته.

قلت: رواه أبو داود برقم (٤٩٠١)، وهو في «الصحيح المسند».

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» إلى آخره.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

---

(١) الإقسام على الله: أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل.

(٢) أي ما جاء فيه من الوعيد فإنه لما كان الإقسام على الله جرأة على الله ونقص في التوحيد وضعف في الإيمان؛ ذكره المؤلف هنا.

(٣) أوبقت: أي أهلكت.

باب لا يستشفع (١) بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي (٢) إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: نُهكت (٣) الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي ﷺ: «ويحك (٤)، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

قلت: رواه أبو داود برقم (٤٧٢٦)، وغيره وفيه ابن إسحاق مدلس وقد عنعن، ومداره على جبير بن محمد وهو مجهول.

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك».

الثانية: تغيّره تغيّرًا عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله».

الرابعة: التنبيه على تفسير «سبحان الله».

الخامسة: إن المسلمين يسألونه صلى الله عليه وسلم الاستسقاء.

---

(١) مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن الاستشفاع بالله على خلقه تنقص لله عز وجل لأنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه، وهو كأن يقول يا فلان إني استشفع بالله عليك، ولأنه سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يكون شافعًا، ولهذا أنكر النبي ﷺ ذلك على الأعرابي.

(٢) الأعرابي: الأعراب: هم سكان البادية.

(٣) نهكت: أي ضعفت وهزلت.

(٤) ويحك: هي كلمة في الأغلب تستعمل للترحم وهنا للتحذير.

باب ما جاء في حماية[1] النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك[2]

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا[3]، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا[4]؛ فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم[5] الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

قلت: رواه أبو داود برقم (٤٨٠٦)، وهو صحيح لغيره.

وعن أنس رضي الله عنه، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل». رواه النسائي بسند جيد.

قلت: رواه النسائي في «عمل اليوم الليلة» (٢٤٨)، وفي «الكبرى» (١٠٠٧٧)، وهو صحيح.

---

(١) في حماية حمى حماه من جهة القول والعمل حتى لا يقرب الناس من الشرك ويقعوا فيه وحذر من وسائله وذرائعه الموصلة إليه، وهذا من كمال البلاغ.

(٢) لما تكلم المؤلف رحمه الله فيما مضى في كتابه على إثبات التوحيد وعلى ذكر ما ينافيه أو ينافي كماله؛ ذكر ما يحمي هذا التوحيد وأن الواجب سد طرق الشرك من كل وجه حتى في الألفاظ ليكون خالصًا من كل شائبة.

(٣) سيدنا: السيد: ذو السؤدد والشرف والسؤدد معناه: العظمة والفخر وما أشبه.

(٤) طولًا: أي أعظمنا شرفًا وغنى والطول الغنى.

(٥) يستجرينكم: أي لا يستميلنكم الشيطان ويجذبكم إلى أن تقولوا قولًا منكرًا.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغُلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول: مَنْ قيل له: «أنت سيدنا».

الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».

باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ(١) وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: من الآية ٦٧].

عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء حبرٌ من الأحبار(٢) إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله». وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع» أخرجاه.

قلت: رواه البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

---

(١) قال السعدي رحمه الله: ختم المصنف رحمه الله كتابه بهذه الترجمة وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه؛ لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أن المعبود وحده، والمحمود وحده الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله وأنه الحق وما سواه باطل وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه وسر الإخلاص فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته و الإنابة إليه إنه جواد كريم.

(٢) الأحبار: هو العالم الكثير العلم.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون(١)؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون».

قلت: رواه مسلم برقم (١٧٨٨)، إلا لفظة: «بشماله» منكرة، قاله البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» رقم (٧٠٦).

وروي عن ابن عباس، قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة(٢) في يد أحدكم».

قلت: رواه الطبري في «تفسيره» برقم (٣٠٢١٢) من طريق عمرو بن مالك النكري مختلف فيه.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي(٣) إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس(٤)».

قلت: رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥٧٩٤)، وهو ضعيف فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم متروك وأبوه لم يدرك رسول الله ﷺ.

---

(١) أين الجبارون: الاستفهام للتحدي فيقول: أين الملوك الذين كانوا في الدنيا لهم السلطة والتجبر والتكبر على عباد الله، وفي ذلك الوقت يحشرون أمثال الذر يطؤهم الناس تحت أقدامهم.

(٢) هي حبة نبات صغيرة جدًا يضرب به المثل في الصغر والقلة وهذا يدل على عظمته سبحانه وتعالى.

(٣) الكرسي: قال ابن عثيمين: موضع قدمي الله سبحانه وتعالى، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) الترس: شيء من جلد أو خشب يحمل عند القتال يتقى به السيف والرمح ونحوها.

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة[1] من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

قلت: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، وغيره وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني كذبه أبو حاتم.

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم».

أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله.

---

(١) كحلقة: قال ابن عثيمين: المراد بها حلقة الدرع وهي صغيرة وليست بشيء بالنسبة إلى فلاة الأرض.

قال معلقه غفر الله له ولوالديه ولمشائخه ولجميع المسلمين:

كان الفراغ من التعليق على هذا الكتاب المبارك ليلة الإثنين

الموافق ١٦/ ٢/ ١٤٢٨ه بمركز دار الحديث بدماج الخير

رحم الله مؤسسها وحفظ الله القائمين عليها

والوافدين إليها من كل سوء ومكروه

والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

قلت: إسناده حسن موقوف على ابن مسعود، رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٣٩).

ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

قلت: في «العلو للعلي الغفار» ص (٤٠).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره.

قلت: رواه أبو داود رقم (٤٧٢٣)، وهو ضعيف لتفرد سماك به وللجهالة عبدالله بن عميرة، وكذلك الانقطاع بين عبدالله هذا وبين الأحنف.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

الثانية: إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم، ولم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «كخردلة في كف أحدكم».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء؟

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي؟

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض؟

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله أعلم.

الفهرس الموضوعي

الغوث: ولا يكون إلا غوث واحد وهو في مكة المكرمة وهو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم ويطلق عليه البعض القطب الغوث ويرى آخرون أن الغوث يطلق على القطب حينما يلتجئ إليه الناس والبعض يطلق عليه قطب الأقطاب.

الأوتاد: وعددهم أربعة أوتاد وهم الذين يثبت الله بهم الإيمان في قلوب الناس كما تثبت الجبال الأرض وسموا أوتادا تشبيها لهم بالجبال التي يثبت الله بها الأرض قال تعالى (والجبال أوتادا) (النبأ ٧) ويكون كل واحد منهم في جانب من جوانب الأرض الأربعة أي أنهم في المشرق والمغرب والشمال والجنوب.

من إصداراتنا

التعليقات المهمة

على الدروس المهمة

لعامة الأمة

الأقطاب: والأقطاب عددهم سبعة أقطاب الواحد قطب وسمي بذلك لأنه يكون قطب في القطر الموجود فيه كقطب الرحى وبوجوده تحفظ البلاد والمراد بالقطب هو الذي يحفظ الله به الشيء كقطب الدين وقطب القرية وكل من دار عليه أمر من أمور الدنيا أو الدين فهو قطب ويعتبر الجرجاني القطب أعلى منزلة عند الصوفية لأنه يعتبر الغوث قطبا والقطب هو موضع نظر الله في كل زمان وهو يسري في الكون وأعيانه الظاهرة والباطنة سريان الروح في الجسد.

مكتبة الفلاح

من إصداراتنا

إتحاف الأنام

بأحكام ومسائل الصيام

مكتبة الفلاح

من إصداراتنا

نصيحة لتبليغي

مكتبة الفلاح

من إصداراتنا

إتحاف القارئين

بإملاء البادئين

مكتبة الفلاح

من إصداراتنا

الفوائد البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله

مكتبة الفلاح